افتتاحية العدد

حجاب بن يحيى الحازمي
رئيس نادي جازان الأدبي
المشرف العام على مرافئ

يتزامن صدور العدد السادس من ملف النادي الأدبي بجازان (مرافئ) الذي أصبح له متابعوه وقراؤه من داخل الوطن وخارجه- يتزامن مع صدور التدابير والتوجيهات السامية التي تهدف إلى ترسيخ وحدتنا الوطنية، ومن تلك التدابير: الموافقة السامية على إنشاء مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، إدراكا من قيادتنا الرشيدة لأهمية التحاور المسئول وأهمية الاستماع إلى مختلف الآراء الباحثة عن المصلحة العامة للوطن والمواطن في ضوء العقيدة الإسلامية الصافية، ذلك لأن الحوار الواعي هو الطريق الأمثل لفتح قنوات التواصل بين المواطن والمسئول وهو الذي سيؤدي بمشيئة الله إلى ترسيخ قيم الشورى التي بدأت مسيرتها في بلادنا منذ عهد الملك المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن- يرحمه الله- كما سيكون الحوار وسيلة من الوسائل المهمة لترسيخ وحدتنا الوطنية وتقوية لحمة الترابط بين أبناء الأمة السعودية الذين يشاركون جميعا في حرصهم على هذه الوحدة وهذا التماسك.

إن الحوار مبدأ إسلامي أصيل، فقد حاور الله جل جلاله بعض عبيده كما في سورة طه: ﴿قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾، وأمر الله تعالى رسوله الكريم بمحاورة الآخرين فقال عز من قائل: (وجادلهم بالتي هي أحسن) لذلك تحاور صلى الله عليه وسلم مع الأتباع كما تحاور مع أعداء الدعوة وكان الحوار وسيلة إقناع وطريق هداية لبعض الصادين عن طريق الحق والخير، كما تحاور خلفاء رسولنا الكريم مع أفراد مجتمعهم وظل الحوار قيمة إسلامية لدى سلف الأمة الصالح.. كما ظلت قواعده وآدابه وأسسه التي تقوم على

احترام المحاور حتى وإن خالفنا الرأي، مرعية الجانب مع محاولة بسط وجهات النظر في أدب واحترام وطرح هادئ مستنيرين بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾.

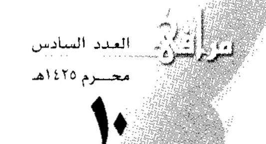
ولقد عقد مركز الحوار الوطني لقاءين ناجحين مفيدين أحدهما في عاصمتنا الحبيبة (الرياض) والثاني في خير بقاع الأرض مكة المكرمة.. وختم كل لقاء بتوصيات بناءة قدمت لولاة الأمر الذين باركوها ودعوا لمزيد من الحوار الوطني المسئول. ولعلنا نتذكر ذلك الاستقبال الحافل الذي أولاه ولي العهد الأمين نائب رئيس مجلس الوزراء صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز للمشاركين في اللقاء الثاني للحوار، وتلك الكلمات التي بارك بها كلمات المشاركين وهم يتشرفون بتقديم التوصيات لسموه الكريم.. كما نتذكر تلك الكلمة السامية التي وجهها سموه للمواطنين بمناسبة تسلمه توصيات اللقاء الثاني للحوار والتي دعا فيها إلى الوسطية والاعتدال، محذراً من مزايدة أصحاب هذا الاتجاه أو ذاك على مصالح الوطن العليا، وكان مما قال في هذا الصدد: " يجب ألا يغيب عن ذهن أحد أن هذا الوطن لن يرضى أبداً أن يمس أحدٌ كائناً من كان عقيدته الإسلامية باسم حرية الرأي أو بأي اسم آخر سيما وأن مجتمعنا يستمد كل مقومات وجوده من الدستور الإلهي الخالد: القرآن الكريم والسنة المطهرة، وأي تعرض لهذا الدستور الإلهي يعد طعناً للوطن في الصميم" وقال يحفظه الله " لن نسمح لأحد بالوقوف في وجه الإصلاح سواء بالدعوة إلى الجمود والركود أو الدعوة إلى القفز في الظلام والمغامرة الطائشة، كما قال حفظه الله" إن الغلو مذموم سواء جاء من هذا الفريق أو ذاك، والتطرف مرفوض سواء كان مع هذا الموقف أو ذاك، وأن السبيل

القويم هو سبيل الوسطية التي لا تفرط، والاعتدال الذي لا يميل.

إذاً فالحوار ضرورة وطنية يحتاجها الوطن في هذا المنعطف التاريخي، ويباركها ويشجع عليها ولاة الأمر في بلادنا حرصاً على ترسيخ الوحدة الوطنية وتقوية لحمة الترابط بين أبناء وطننا الحبيب.

لذلك فإننا نرغب إلى ا[illegible]اورين في اللقاءات القائمة أن يجعلوا هذه الكلمات المضيئة نبراساً لهم، كما نتمنى أن يدرك الجميع الأهداف السامية من هذا الحوار الوطني متفهمين أساليب الحوار، وضوابطه وآدابه، متجنبين كل ما يمس عقيدتنا الإسلامية، أو وحدتنا الوطنية، أو مصالح الوطن، والأمة، وأن يكون هدف المتحاورين هو الوصول إلى صلب الموضوع المتحاور فيه، ملتمسين الحلول الممكنة لعلاج سلبياته وتعزيز إيجابياته من غير تعصب لرأي، أو انتصار لمذهب، معلين مصالح الوطن العليا، مبتعدين عما يقع فيه بعض متحاوري الأحزاب والمذاهب في المجتمعات الأخرى من لغط وإسفاف يفضي بحواراتهم إلى التجريح، أو فرض شيء من الوصاية التي تشم منها رائحة المزايدات التي يرفضها مجتمعنا الذي عودنا قادتنا فيه على الصدق والوضوح وخدمة الوطن في ضوء الشمس الساطع على هدي من نور الإسلام.

والله المستعان



نشيد الصحراء

شعر:
إبراهيم بن حسن الشعبي*

* شاعر سعودي.

من هذه الصحراء أرض
المجدِ أرضِ المعجزاتْ
من أرضها سطع الضياء
وقيل حيَّ على الصلاةْ
من هذه الصحراء فجرنا
ينابيعَ الحياةْ
في كل خطبٍ نسأل الرحمن
يلهمنا الثباتْ

* * * *

قمْ سائل التاريخَ عن
صفحات ماضينا المجيدْ
بالعلم والإيمانِ شيَّدنا
ذرا المجد التليدْ
واليوم حاضرُنا يجدد
مجدَ ما ضينا العتيدْ
اليوم نحكمُ أمرناً
ونحققُ الأمل الوطيدْ

* * * *

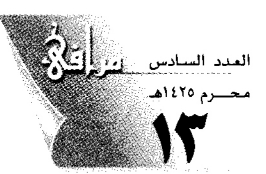
فالجيل يلتهمُ المعا
رفَ قائلاً هلْ من مَزيدْ

وجـــــهــــــودُ كل الـعـــــامـلـيـــن
تشـــــيـــــرُ للفـــجـــرِ الجـــديدْ
ومـــســـيـــرة العلم الجـــريـــئـــة
فـي خـطـاهـا لا تحــــــيــــــدْ
ويقـــــودهـا بخطـى الثـــبـــاتِ
مـلـيكُـنـا نـعـم الحـــــفـــــيـدْ

* * * *

مـــــرحى فلسطينُ الجـــريحـــةُ
كـلُّــنـا حـــــــــــــرٌ أبــي
في غـــضـــبـــةٍ ملتـــاعـــة
لا ألـــفُ لا لـــن تـــذهـــبـــي
صـــبـــراً بني قــــومي هناك
فَـــشـــمـــسنا لم تـغـــرب
يا حـــــفنة الذمم الدنيـــئـــة
دمّــــــــــــري أو أرهــبـــي
فـــالليلُ يعـــقـــبُـــه صـــبـــاحُ
مـن جـــــزيـرةِ يـعــــــرب
من مـــركـــز الثـــقلِ العـــتـــيقِ
ومـــن ربـــا أرضِ الـــنـــبـــي

* * * *



تمــروقهــوة

شـعـر:
أحمد بن يحيى البهكلي*

تمتــد يا حب كــالشــريان في البــدن
من رمل رفحـاء حتى البحـر في عـدن
تمتــد يا حب نهــراً خــالداً قــصــرت
عـن أن تـغـــور بـه دوامـــــة الـزمـن
ثرى ثريٌّ بأمـــجـــاد العـــروبة في
مـــهـــادها، وهدى الإســـلام لم يهُنِ
أنَّى تلفّتَّ شـــعّتْ نجـــمـــة رقــصتْ
قــصــيــدة وشــدَتْ ورقـــا على فننِ
وذاب شـــهــدُ لقـــاء الأقــربين على
لُعْس الشــفـــاه وغنى البــحـــر للسـفنِ
ينســـاب عطرك يا تاريخ عـــتّـــقَـــه
نبل الجـــزيرة حـــتى بات يســـحـــرني
أكاد أستاف عطر الأعصر ال(غـبَـرتْ)
كـأنني وشـــذى التـــاريخ في قَـــرَنِ
اللـه، الله مـــا أحلى اللقـــاء على
بيت من الشـــعـــر أطويه وينشـــرني
يا أيهـــا الســـائلي مـــا لي أرشّ على
هذا التـــراب انشــراحي وهـو يغـــمـــرني
ومـــالحـــرفي مـــخـــضــراًّ؟ وأوردتي
مــخـضلةً كــاخـضـلال العين بالوسن

● شاعر سعودي.



إني انتشيت وقد وافى البشير إلى
أرض الجزيرة في الأرياف والمدن
شطر امرئ القيس رقراقٌ ومؤتلق
أجازه عجلاً سيف بن ذي يزن
بات الأحباء صحو الصدق يصهرهم
سبيكة لزمان الضنك والمحن
ما منهم غير حادٍ ركب مكرمة
أو شاخص لذرا الأطواد والقنن
في مرفأ الأمن قد أرسوا مراكبهم
وأسلموها إلى الإيمان لا الشطَن
إن بحّ تمر الحسا يوماً حلوقهمُ
ترشفوا فوقه من قهوة اليمن
وإن تهادت صبا صنعاء مُشْئمة
إلى الرياض ثَوَتْ في المربع الحسن
لمثل هذا، فؤادي رف من فرح
وقد أجَزْتُ لذا مَنْ بات يعذلني

* * * *



الصمت والمستحيل

شعر:
إبراهيم
عبدالله مفتاح•

أضـــيـــفي إلى قـــهـــوتي الزنجـــبـــيلْ
ليـنضـج طعم الضـــــحى والمقـــــيلْ
وصـــــبي صـــبـــاحـــاً هديل الدلال
ورشف الفناجين قـــبل الرحـــــيل
أضـــيـــفي ســـؤالاً لمجـــرى الحـــديث
يلملم في صـــمـــتـــه المســـتـــحـــيلْ
نخـــيـــلاً يعـــاقـــرتيـــه المدى
وينثـــــر في الأفق زهو الهـــــديلْ
لورقـــاء لم يســـتـــبح شـــــدوها
مـــســـارُ الطريق الطويل الطويلْ
أضـــــيـــــفي إلى خطوتي خطوة
ترشـــرش بالوعـــد وجـــه الســـبـــيلْ
تبـــعـــثـــرني في خـــلايا المســـــاء
وتمنحني غـــيـم صـــبح جـــمـــيلْ
فكم طاف بي في مـــداه الســـؤال
وأتعب ركـــضـي ضـــيـــاع الدليلْ
ريـاحـك إن أيـنـعـت مـــــــرةً
تجـــود بخـــمـــطٍ وســـدرٍ قليلْ
ووعـــدك إن حـــرضـــتـــه الغـــيـــوم
تراكم حـــتى امـــتطاه العـــويلْ
أضـــيـــفي ولو مـــرة للضـــحى
تمـرد غـــــصـــن وظـلا ظـلـيلْ

• شاعر سعودي.

على عتبات الأربعين

شعر:
عبدالله بن سليم الرشيد*

* شاعر سعودي.

أوقـــــدي لـي ذبـالـة مـن ذبـولـي
شـــاخ في مـــقـلـة المدى قـنـديلـي

الـتـــراتيل -تـذكـــرين الـتـــرا
تيل؟ تهـــشّـــمن في مـــدار أفـــولـي

والصـــبـــابات -تعـــرفين الصـــبـــابا
ت تـوارين فـي ركـــــام الـعـــــويلِ

كنت ريحـــانة وكنتُ نســـيـــمـــاً
جـــمـــعـــتنا مـــراهـقـــات الـفـــصـــولِ

دأبنـا الانـطـلاق والنَّصَب العـــــذْ
بُ وركض المنى إلى المســـتـــحـــيلِ

لا تقـولي: مـازلتَ. حـسـبي اشـتـعـالاً
لم يعـــد يسكر الغـــمـــامُ حـــقـــولي

في وداعـــيكِ مـــا أمـــرتُ بـكـاءً
وتـلاشـى تحـت الـلســـــان هـطـولـي

إنـنـي أحــــسـن الـسـكـوت ولـكـن
أنصـــتي تســـمـــعي ضـــجـــيج ذهولي

الرياض غرة رجب ١٤٢٤هـ



يا سيد الحرف*

شعر:
محمد عبده شبيلي*

● شاعر سعودي.

شَـــابتْ شُـــواتُك مِنْ لَثْـم المجلّيـنا
وَمَنْ سُـــجـودِكَ فـي صَفٍّ المصلينا
وَمِنْ توشُّـحِك التّـقـوى وهيـبـتـهـا
ومن حـــدائك أفـــواج المجـــدينا
مـــا شـــابهـــا دخَنُ الأهواءِ يا أبتي
كَـــلا ولا لامَـــسَتْ مِنْ أَرضِـــهِ طينا

* * * *

مِنْ أَيْـنَ أبدأ؟ نَدَّ الحـــرفُ من قلمي
مَـــا عَـــادَ ينثـــالُ إبداعـــا وَتزْيينا
وريشـــتـي غَـرقَتْ في مَـاءِ مَـحْـبَـرتي
فَـعَـــزَّها القـــولُ تنمـــيـقـــا وَتلْوينا
وَغَـاضَ مَـاءُ البَـيَـانِ المنْتَـقَى بِفَـمِي
وَجفَّ نَهْـــري الّذي رَوَّى الأفـــانينا
تَبَـعْـثَـرتْ كَلمـاتي وانْطفـــا وهجي
وضَـيَّـعتْ نَبَـراتي الجـيمَ والسّـينا

* * * *

يَا سـيـدَ الحـرفِ عُـذراً أيُّ قَـافـيـةٍ
تَسْـمـو لقـامـتك الفَـرْعـا وتدنينا
وأيُّ بَـحـــرٍ خَليليٍّ يُحِـــيطُ بما
حـــوى جَنانك تحـــبـيـــرا وتدوينا



مِنْ نُورِ وَجْـهِكَ وَجهُ البـدرِ مُـؤتلقٌ
ومن مـحـيّـاك ذرَّ الصّـبح تبـيـينا
ومن يَدَيْك جَـرَى نَبْعُ البـيـانِ ومِنْ
يَراعِكِ الفَـذِّ نَال القَـوْلُ تحـسـينا

* * * *

منك استـقـينا رضـاب المكرمـات ومـا
فـتـئتَ تنهلنا الآدابَ تلقـيـنا
وَعنكَ حـدَّثَت الأيامُ واثقـةً
تاريخـهـا فـحـفظنا منه مـا شـينا
وَفـيكَ أَسْـهَـبَت الأقـلامُ واصـفـةً
رَمْـزاً بهـامـتـه الشـمـاء يغـرينا

* * * *

أدرتَ جـيـدَ السّنا حـينا إلى ضَـمَـدٍ
وكم بجـازانَ أَغْـريتَ المحـبـينا
تلفَّـتت رَدْهـةُ النّادي إليك كـمـا
مـشـوقـة تجـتلي أَغْلى المسّـينا
مَـلأتَ كلَّ الدّروبِ المشـرعـات رؤى
مـخـضلَّةً زيَّنتْ شـتى مـغـانينا
نَقَـشْتَ رَسْـمك في كلِّ القلوبِ فـإنْ
غـيِّـبتَ عنَّافـمـا نحن بناسـينا

* * * *



يا سيد الحرف

كُنَّا أَمَامك طلابين أوسمةً
نَزْهو بها فانْتَشَتْ يمْناك تعطينا
كنَّا بِرَكْبك لحَّاقين فالتفتت
خِلالكَ البيضُ تستعدي العُلا فينا
كُنَّا نَراك بَعيدَ المرتقى فَدَنَا
منَّا جنابُك فانداحتْ أمانينا

* * * *

واليوم تتركنا لكنْ إلى هَمَمٍ
جُلَّى دعتك فبزَّيت الملبينا
مَاذا أقولُ إذا عَزَّ اللّقاءُ وَقَدْ
أضحى التنائي بديلاً عَنْ تَدَانينا

❖ مهداة إلى الأستاذ الأديب حجاب بن يحيى الحازمي، ألقاها الشاعر في حفل تكريمه.



المجُـــــورْ

شـعـر:
عبدالمحسن يوسف•

في "المجوْر"
عُرْسُ ماءٍ يسيلُ
وشَمْسٌ تدورْ
في "المجورْ"
شَجَرٌ ناعمٌ مُثِمرٌ بالطيورْ
وأنا الطفل، سنارتي في المياه الشفيفة
ملَّتْ يدايَ، وآنَسْتُ يأساً،
كأنَّ الثواني دهُوْر
وأبي قال لي: ظافرٌ من يكونُ الصبورْ
وأبي قال لي الصيدُ مدرسةٌ في الأناةِ وفي الصبَرْ

تَعلَّمْ، إذَنْ، يا فتاي تعلم
فما لستَ تُدركه في الكتُبْ
يعلمك البْحرُ
البحر نورٌ..

في "المجوْر"
عُرْسُ ماءٍ يسيلُ
وشَمْسٌ تدورْ

• شاعر سعودي.



إغماءة على صدر السرّاب

شعر:
أيمن عبدالحق•

• شاعر سعودي

سَامحيني إذا أسأتُ التَّصابي
واعذريني فشِقْوتي في إيابي
وامنحيني هنيهةً من صفاءٍ
كي أجلِّيك عن قرارةِ ما بي
ما نكثتُ العهودَ عن طيب نفسٍ
إنما هدَّت الهمومُ شبابي
لستِ منهنَّ إنما أنتِ فيضٌ
من حنانٍ وروضةٍ من رضابِ
وربيعٌ من المشاعرِ يسري
في فؤادي من غيرِ قرعٍ لبابِ
لست منهن كيف لي أن أسوي
بين خفق وشهقةٍ من عذابِ
أنتِ سحرٌ لكنما دون همّ
ورحيلٌ لكنْ بدونِ اغترابِ
إن تَوَسَّدتِ-رغم حِملي- ذراعي
ربما أفقدُ انثيالَ السحابِ
مثلَ أرض تبيتُ تنهلُ غَيثاً
ثم تمسي والماءُ مِلءُ الترابِ
حين تهمينَ لن يظلَّ بقلبي
قيد إغماءةٍ لبذرِ السرابِ
ربما ديمةٌ تجيءُ وتنأى
هي خيرٌ من هاطلٍ سكابِ



العبــاءة

شـعـر:
معبر علي
محمد نهاري*

● شاعر سعودي

أقــبلتْ في عَــبـــاءةٍ منْ حَـــرير
ذاتَ دَلٍ تمازجتْ بـالعــبـــيـــرِ
تتــــهــادى في خَطوِها لحَنَ حُبٍ
يُو قــدُ الشــوقَ في أصمّ الصــخـورِ
إنهــا السـحــرُ فــالعَـبــاءةُ ضَـمتْ
فِــتنةَ الحُـسنِ والضـيــاء المُثــيــرِ
كلُّ خـــيطٍ من العـــبـــاءةِ يروي
خــبــر السِّـحــرِ والشــذا والبـخــورِ
كـمْ قـلـوبٍ بـكـلِّ خــــيـطٍ تـدلـتْ
كلُّ قلبٍ من شـــوقِــه في ســعـــيــرِ
كم تـردَّى مِـنَ الـعـــبـــاءةِ قـلـبٌ
وهـو يـبكي بـخـــاطـرٍ مـكســـورِ

* * * *

وشــوشــتني الخــيــوطُ عن كلِّ سِـحــرٍ
يَغـــمـــرُ الـروحَ بالمنى والحــبــورِ
كُلُّ خـــيطٍ يقــولُ لي عُبَّ شــهـــداً
يُطفـيءُ الـهـم مـــالهُ مِن نظيـــر
فـــيـــه نضحٌ مـن الشـــبـــابِ نديٌ
كــسُــلافٍ من حــاليــاتِ الثــغــور



العبـــاءة

عَطَّرَ العِطْرِ ليلتي حينَ مَـــرتْ
كـــفُّــهـــا في جــديِلهـــا المنثـــورِ
يالحُـــسنِ أعـــادَ قلبي فــتــيّـــاً
يتـــغنى بمعــــزفٍ من أثيـــر
أيهـــا الخـــيطُ هل أصـــختَ لهـــمسٍ
عند عـــزفِ الوجـــيبِ بين الصـــدور
أو تشـــاقـــيتَ بالرفـــيف كـــقلبي
حين تَلقى الأمـــانَ قـــربَ النحـــور
سكتَ الخـــيطُ لحظةً ثم أفـــضى
بحـــديثٍ مُـــعـــتّق كـــالدهور
إن ســـرَّ الوجـــيبِ قـــد باتَ ســـري
كم على عـــزفــه ســدلتُ ســتـــوري
قـــدْ تَعطرتُ من حِكاياتِ وجـــدٍ
يوم لامـــسْتُ مُـــعْـــصـــراتِ العطور
ذاك عِـطـــرٌ مـــن كُـلِّ قـلـــب تـلـظـــى
يـالـعـطـرٍ يـفـــــوقُ عـطـرَ الـزهـور
إن ســـرَّ الغـــرام قـــد صـــار عندي
طلســـمـــاً حُـــزتُه بعـــمـــرٍ قـــصـــير
فـــابعثِ اللحن يا صـــديقي ودعني
أغـــمـــر الكونَ بالشـــذا والعـــبـــير
فـــتلعـــثـــمتُ!! لا أحـــيـــر جـــواباً
وبدا الكونُ هـازئـاً من شـــعـــوري

ايٌّ شـــعــــرٍ ولـلـعــــبـــــاءةِ حظٌّ

غــيــرُ حظٍ جنيــتُــه من سطوري!!؟

أيُّ شـــعــــرٍ إذا الجـــمـــالُ طوتـه

عن عُــيــوني عــبــاءَة من حــرير !!؟

يـا شـــقـــاءَ القلوبِ كم ذابَ قلبٌ

وهـو يهـــفـــو لحـــسنَكِ الموفـــورِ

* * * *

قبل شتاء.. وحنين

شعر:
عصام
ترشحاني•

يا..
سيدة من مسْكٍ
وخرافاتٍ
وقرنفلْ..
يا ملحمة الألوانِ،
وما
انشقَّ من الأسطورةِ فوقي
ما أبدعك....
يا.. الهيجاءُ..
وما اكتملَ الأبديُّ،
بغيركِ،
يا..
إلياذة عشقي
فاحترقي فيَّ
احترقَ الخصبُ.. احـ
ـترقي..
أَرجائي أنتِ وكم
متُّ مراراً
كي ألقاكِ
ولذتُ كثيراً

• شاعر سوري



لذتُ إليكِ

لألثمَ بَرْقي..

هل

يحتشدُ البحرُ ورائي؟

....

يحتشد الوقتُ المتلاشي..

والغائبُ،

والمقتول..

وما أنفكُّ

يُزاولني السحرُ

وأنتِ بأشهى

ما يبدعهُ المجهولُ،

تجيئين..

كم أنتِ

تفوقينَ المُبهرَ،

كم

كلّمكِ

الخارقُ والمُبْهمُ..

كم ضلَّ

إليك العشاقُ

يا.. أنت..

سأكتبُ في النسيانِ



بأنكِ

أصلُ الضوء

وضوءُ العطر

وعطرُ الشعر

وأنكِ وحدكِ

أسرجتِ طيوفي

قبلَ شتاءٍ

وهشيمٍ

وحنينٌ..

طقـــوس

بقلم/
محمد علي البدوي*

* كاتب سعودي.

لقد وصلنا بحمد الله.

تمتم خالي بهذه الكلمات ونحن على مشارف القرية. وكان الليل يمد رواقه في صمت والقرية تغط في سبات لذيذ، دلفت إلى منزلي فكان المشهد مهيباً، نساء يقفن أمام غرفتي في نصف دائرة يجلسن القرفصاء، يلتحفن وشاحاً أسود، الوجوه كالحة والعيون غائرة، راعني المشهد، ففضلت الانسحاب في سكون.

- جدتك تحتضر. قالتها أمي ثم قفلت راجعة نصف الدائرة، فكانت وسطهن مـــذهولة، والدمـــوع تغـــادر محاجرها مسرعة، خالتي هي أيضاً زمت شفتيها وتركت الحديث لدموعها، وبينهن وقفت الشاعرة ترسل مراثي حزينة تسبق بها الحدث:

" لفى عليك اللفى

لافى الرجال والنساء"

الرجال يتدافعون إلى المنزل بانتظام يستقبلون الموت، ينتظرون الجنازة.

لكن جدتي لم تمت بعد.

- إنها تحتضر.

- الأعمار بيد الله.

- اصمت. قالها أحدهم وهو يوجه جموع الرجال إلى المقبرة استعداداً للحفر.

- بسرعة، الغاسلة.



قالتها أمي وهي تحبس دموعها، تختزنها للحظة الحاسمة.

- فأجبت متباطئاً.

- هل ماتت جدتي؟

- تعال وانظر.

في غرفتي الصغيرة كانت جدتي تتوسط المكان وحولها كانت تسكن أعواد الكاذي والريحان، رائحة زكية تعطر الغرفة.

- هل هذه رائحة روح جدتي؟ سألت إحداهن فأجابت في خشوع مصطنع:

- اصمت الملائكة هنا ثم ولت وجهها شطر القبلة وهي تتمتم بكلمات غريبة.

- كانت جدتي تتنفس بصعوبة صدرها يعلو ثم يهبط في حركة سريعة، شخصت ببصرها نحو السقف، الوجه القمحي بدأ يتصبب عرقاً، يالله.. كم تعبت هذه المسكينة آخر مرة تحدثت إليها في المستشفى كانت أحلامها كبيرة.

- اللهم ارحمها.. اللهم ارحمها.. قلت في نفسي.

- جاء صوت أحدهم قوياً من الخارج.

- القبر جاهز.

- ثم أردفت إحداهن في تذمر واضح:

- الغاسلة تنتظر.

- كل شيء جاهز.

الليل يمد رواقه في سكون والنساء يتدافعن إلى الداخل والصمت يطبق على المكان لكن جدتي مازالت تحتضر.

شمس غاربة

بقلم/
د. ناسرين الجاني*

* كاتبة سورية.

استيقظت متهالكة، رتبت السرير القديم، واتجهت متثاقلة تغسل وجهها، وكالعادة لم تنظر أبداً إلى المرآة التي يكسوها الغبار منذ سنين وبحركة هستيرية بدأت تغلي القهوة، ملأت فنجاناً لها وفنجاناً آخر له وجلست وعيناها المؤرقتان معلقتان بالبعيد.

احتست قهوتها بصمت ثم ارتدت معطفها الرمادي وشالها الأسود وغادرت، وصلت إلى دكان بيع الزهور، دخلت وألقت تحية الصباح ثم أخرجت علبة سجائرها وبدأت تدخن سيجارة ريثما ينهي البائع توضيب باقة من زهر الأقحوان.

قال البائع: سمعت بأنك ستنتقلين من الحي.

- أجل... غداً ربما.

- وماذا عن بيتك؟!

- بعته..

ثم بدأ البائع ثرثراته اليومية بينما هي بدأت تحلق وتغيب مع كل سحابة دخان.

- انتهيت؟!

- أجل..

أخرجت محفظتها ودفعت النقود ثم انطلقت لزيارة الحبيب. وفي الطريق، وكالعادة تباغتها الذكريات مثل رياح الخريف، ويبتدئ النزيف في أعماقها قطرة.. قطرة.



تتذكرُ كيف كان أول لقاء.. وأول كلمة قالها.. وكيف عرفت منذ البداية أنه فارس الأحلام وأنه النصف الأخر.

تَذَّكرُ بريق عينيه.. ودفء صوته.. وخصلات الشعر التي كانت تكلل جبينه، تفر من عينها دمعة.. تتابع السير وتستمر الرياح بدفعها للوراء.. لكنها تمضي قدماً محتضنة باقة الزهر وتقول لنفسها:"هذه ليغدو صباحك أندى، تدمدم بأغنية قديمة لطالما، ترنما بها معاً.. لكن الكلمات تهرب بعيداً وتغرق في بحر من النشيج.. تقف قليلاً لتستجمع قواها، ثم تنطلق من جديد، تتذكرُ اعترافه الأول بالحب، وكيف طلب يدها كالفرسان.. كيف جعل كل ما حولها بلاداً للأحلام.. وتوجها أميرة، وكان هو الأمير - حلم لم يكتمل - وعندما وصلت إلى البوابة أحست بقشعريرة تجتاح جسدها المتعب وبدأت تمشي بخضوع، بهدوء، بصمت وحزن أليم، وصلت ثم انحنت ووضعت باقة الأقحوان قرب شاهدة القبر، وعندما لامست أناملها تراب الضريح، انتفض الجسد النحيل بعنف وشب في صدرها حريق رماها في أوج المأساة من جديد.

_آه يا ملاكي البعيد، لو تدري كم في الليل أبحر نحو موانئك المستحيلة، قل لي كيف تجيد التسلل مع أغاني فيروز وقهوة الصباح.. كيف بمقدورك أن تحط رحالك في جميع دواوين نزار، وكيف لك أن تشرق في جميع الألوان وكل طريق تقودني إليك، وكل سماء تحملني إليك... وكيف تكون بقربي ولا تحتضن يداك وجهي في لحظات البكاء؟

التقطت أنفاسها وقالت متمالكة نفسها - غداً سيقام مزاد تباع فيه عشر لوحات من ضمنها لوحتك الأخيرة " شمس غاربة" لابد أنك تذكرها.. قلت لي: إنك ترسمها بالألوان المائية لتغدو شفافة نقية مثل روحي.. أعدك بأني سوف أستردها مهما كلفني ذلك.. لا تقلق فقد تدبرت كل شئ.

وحانت لحظة الفراق من جديد.. تلت الصلاة لراحة نفسية، ثم مررت يدها الراعشة فوق كل بقعة من الضريح وضمتها بعمق إلى قلبها.. وقفت وألقت نظرة أخيرة واندفعت راكضة باكية.

* * * *

ويفرد الليل جناحيه فوق المدينة الناعسة، والليل آلة الزمن التي ترسلنا إلى مواطن الذكريات تحاول جاهدة النوم، وتقيس الغرفة بخطواتها المضطربة مئات المرات، تقف إلى نافذتها ساعات وساعات ويمر ببالها حديث قديم "- لماذا لم ترسمني بعد؟ ألا أصلح للرسم؟!

- أميرتي الصغيرة لأنك تمثلين لي كل الحياة منذ لحظة الخليقة وليس هناك من لوحة تستطيع مهما كبرت أن تتسع ولو لبعض من تفاصيلك " وتشعر للحظة بالإطراء ثم يعاودها الحزن طويلاً.

وأخيراً أتى الصباح، احتست قهوتها وارتدت معطفها الرمادي وشالها الأسود ثم حزمت أمتعتها وجلست بانتظار المالك الجديد..

تأملت المكان.. تأملت الجدران وزجاج النافذة



المتـصـدع.. ودَّعتْ كل شـيء، ودَّعت كل ركن.. أحـسـت بالحـزن العـميق لفـراق الأشـيـاء التي شـاطرتهـا أحـلامـهـا وأفراحها وخاضت معها مأساتها.

قُـرِعَ البـاب... نهـضت راعـشـة وحـاولت التظاهـر بالهـدوء، فـتحت البـاب ورحبت بالزائر الموعود.. وقَّعَتْ العـقـود بصـمت، اسـتلمت النقـود ثم غـادرت دون أن تستطيع أن تلقي نظرة وداع أخيرة.

قادها الطريق ساهيـة إلى الغرفـة التي استأجـرتها، وضعت أمتعتها ثم انطلقت مسرعة تشق طريقها تحت المطر نحـو قـاعـة المزاد.. وبيـعـت اللوحـة الأولى.. والثانية..فالثالثة.. آه أخيراً لوحتك.

بدأت الأرقـام تتـضـارب.. رقم من هـنا.. وصـراخ من هناك.. والمطر يزداد غزارة..

- يا إلهي يالهـا من أرقـام.. لكن لا بـأس مـعـي نقـود كافية وسأزيد دوماً حتى آخر قرش لدي..

وفي تلك الزوبعـة رن في أذنهـا " سـيـدتـي رسى المزاد عليك واللوحة لك " توقف هدير الأصـوات فـجـأة وغـاب الجـميع، بينمـا هـي حـررت صـرخـة مجلجلة ثم اندفـعت كـالبـرق نحـو اللوحـة، ضـمـتـهـا بحـرارة إلى صـدرها، لم تعـرف لحظتهـا فـيـمـا لو كـانت تبكي فـرحـاً أم تغني.. ثم نظرت إلى اللوحة وتأملتها جيداً، ومررت يدها المضطربة عليـهـا ببطء - مـازالت تحـتـفظ بحـرارة يديه.. برعـشـة أنامله ما زال فيها بقية من انعكاس بريق عينيه، وتنبعث منها رائحة عطره الممزوج بالعرق.. يا إلهي لا أصدق الآن



بإمكاني التحدث معك وجهاً لوجه.. وباستطاعتي أن أضمك وأحملك كطفل صغير بين ذراعي.. يا رب شكراً لك لأنك أعدت لي بعضاً منه.

ضمت اللوحة إلى صدرها وغادرت، مشت باكية تارة، وأخرى ضاحكة تهدهدها أمواج الأحلام والذكريات، وتقودها منعطفات الطرقات إلى حيث تشاطر...

وفجأة باغتها صوت سيارة مسرعة وصراخ أحد المارة وهو ينتشلها بقوة نحو الرصيف.. أطلقت صرخة واحدة شقت صدر السماء (اللوحة)

وحين نظرت للخلف كانت عجلات السيارة قد حطمت اللوحة وتناثر زجاجها أشلاء على الطريق، انهارت قواها وسقطت على حافة الرصيف حاولت الصراخ لكنها لم تستطع فاكتفت بالأنين الذي بدأ - يخبو - شيئاً فشيئاً.. وعيناها مصلوبتان على أشلاء اللوحة، راقبت بذعر تمازج الألوان وغيابها التدريجي في الطين.

وفجأة سمعت الألوان تناجيها.. تناديها وتود معانقتها، ثم رأت عينيه تشرقان فيها، حاولت النهوض جاهدة، وعندما لم تقدر زحفت بصعوبة نحو الأطياف.. وصلت ثم لمستها.. فوجدتها ناعمة دافئة، وشعرت فجأة بالراحة والطمأنينة والانعتاق، وبدأت تطفو تدريجياً في الهواء ثم نظرت للأسفل فرأت مشهداً أرضياً يضم جسد فتاة ممدة على طين الطريق تحتضن شظايا الزجاج...

* * * *



قصتـــــان

بقلم/
خـالد السعن*

صــــراع

على أية حـال، أنا أراهـن أيهـا السـادة. على أن المواجهة وقـصـة الشـمـعـة الأخـيـرة التي لم يرهـا أحد!!

حين تداوم الشـمـعـة الواقـعـة على آخـر طـاولـة بالدنيـا. ترى بقضتها في مواجهة مع الظلمة. في المنتصف تفاجأ بالعـراك اللذيذ السـاخن مع الظلمـة. إنه اشـتبـاك مـثيـر.. وأنت تشـاهد الحـدث. تكون مع النـار فـتـحـتـرق!! وفي الظلمـة أنت أعـمـى؟! لكنك ذكي إن تـأملت فـجـوة الصـفـر. لأنك ستتعب في المراقبة والبحث عن المنتصر؟! فجأة!!

فـجـأة على الطـاولـة ترى الشـمـعـة تختنق وتحـتـرق، ومن ثمـة تصـعـد حتى أعلى نـافـذة... في النهـاية ترى الظلمـة تنتصـر..

فنجان صاحبي

حين تأمله لدائرة القمـر - المحبوس بالصدفة بفنجان القـهـوة على الطاولة - عـبـرت نـسـمـة ليليـة، كـان القـمـر يرتعـد فـيـهـا. صـاحـب الطاولة تـأمل ارتعـاشـات القـمـر الخـائف بفنجـانه.. ((أقل مـا يمكن التفكيـر فـيـه، خـريف بهـذا الحـجم!!)) قـال ذلك مـتنفسـاً خـيطاً من سـجـارته، على آخر رشفة من فنجان القهوة شعر بحركة ساخنة في صـدره، دفـعـه لعـبـه إلـى زاوية الدهشـة! عندمـا تفـقـد السماء، كان القمر قد اختفى !!

• كاتب سعودي.



أم الشهيد

بقلم/
نجوى أنور ناظر*

عندمـا يبـتـسم الفـجـر، ويعـبق الأريج في الأرجـاء، تملأ زقزقات العصـافير جو السمـاء تنفتح عيناهـا وتنطلق شفتاهـا بعبارة (الحمد لله) تستفتح بها نهارها.

هي أم ولكنهـا ليست أماً عـادية، إنها أم الشـهيد الذي قـضـى دفــاعــاً عن تـراب الوطن الغــالي، أم أخــذت من الصخور الصلبة مكانتها ومن الينابيع الرقراقة بساطتها ومن أجنحـة الفـراشـات رقـتـهـا، ومن صـغـار القـبـرات وداعـتـهـا... وكـعـادتهـا في بداية كل يوم تنهض بهمـة إلى مشوارها اليومي المعتاد والمدى المفتوح أمامها يفتح ذراعيه مرحباً. وما أن تراها الزهور قادمة حتى تنحني لها، وهي تنبـه جيـرانهـا أنبـاء الطبـيـعـة بهمس - أن تنبـهن-، ها أم الشهيد ستمر من هنا، فتنحني الهامات من أول بنفسجة حتى أخر أقحوانة، ويركض العشب متلهفاً ليكون له شرف اللقـاء بهـا، وتصل إلى ضريح ولدها فتقرأ الفـاتحـة على روحه وتلمسه بيدها لتدعو له كأحد أضرحة أولياء الله الصـالحين ثم تسـقي شـجـرة الصنوبر الملاصـقـة له، وتعـود إلى بيتهـا الريفي البسيط لتحضر العجين وتجهز التنور. وما أن يخرج أول رغيف طازج مغادراً الأتون الملتهب حتى تطلب بطيبة من المارة أن يتفضلوا ويأكلوا فتمتد السواعد السـمـراء ذات الأكف المشـقـقـة وتنطلق الأفـواه شاكرة:(سلمت يداك يا أم الشهيد).



أما الأولاد فكانت تصنع لهم أقراصاً صغيرة تناسب أحجامهم وأعمارهم فيتناولونها بأيديهم الغضة وينطلقون بفرح، الابتسامات البريئة ترتسم على شفاههم، بينما تهمس هي في سرها: عهد يا ولدي سأبقي أوزع الأرغفة عل روحك الطاهرة ما دام فّي رمق... لكن ما حدث اليوم كان غريباً، فقد خفقت بيارق الصباح ولم تكحل الأزهار عينيها برؤية الأم الحنون، والأعشاب لم تتعطر بنسائمها المعطرة، فاجتاحتني جيوش القلق، وانتابتني هجمات الأسئلة: ماذا حصل؟ ولماذا لم تخرج إلى مشوارها المعتاد في هذا اليوم؟ !

فذهبت إلى بيتها المتواضع لأستفسر وأقطع الشك باليقين وفوجئت بأني لم أكن الوحيد الذي سأل عنها وقلق عليها، فقد سبقتني الفراشات والورود والقلوب الطيبة، والنجوم الزاهرة، وأكاليل المجد ورائحة التراب الطهور، وعطر أزهار الليمون، وعلى الباب كانت هناك تلال من الغار، وقصائد حب الوطن وصباحات الأعياد، كلهم يقفون بخشوع في حضرة أم الشهيد، بينما كانت تتراءى لي أرغفة الخبز الطازجة، وعلى غير عادتها (حزينة هذه المرة) واصطفت على الجانبين قامات النرجس، وشقائق النعمان العابقة بنبض الأرض المعطاء، وقفت أمامها ليتسنى لي سماع همساتها المتزجة بهديل الحمام الحزين، وهي تحتضن قميص ابنها الشهيد، وصمت الوجود وانحنى الدهر، وأصغى القدر لحشرجات انسابت كلماتٍ على شفتيها ! إني أراه مقبلاً عليّ



كالشعاع السنيّ، وضاء الأسارير، وحوله فيض من النور فأهلاً بولدي الشهيد، كم هو كبير شوقي للقائك لقد أمضني الشوق أيها الغالي، فأتعب قلبي وقرح أجفاني.

آه... إنه يمد يده الآن ليأخذني معه، وها هي يدي ممتدة نحوك أيها الحبيب

ورغم ضيق الغرفة الطينية البسيطة اتسعت مساحة الحزن والبكاء وعبقت رائحة البخور في الأرجاء.

* * * *

رائحة المكان

بقلم/
أحمد موسى حديب*

• كاتب سعودي.

خـيّل إلى أن المـمـر إليــه من هـذا المكان صعب، ولكن لابد لي من الوصول إليه تحملني قدماي، وأصعد السلم درجة، درجة.

الحذر يا أحمد، فالسلم على وشك الانهيار، كلمات لا يزال لها رنين في أذني.. يعيش في ذلك الزقاق، وصلت إليه، كان الوقت متأخراً، وكنت منهك القوى، وكنت أشعر أنني بحاجة إلى أن أفرغ ما في معدتي.. فالمكان تنبعث منه رائحة.. كان لابد لي من السلام عليه، والجلوس معه، ولو لبضع دقائق.

خيّل لي، أني رأيت دماً.. أين؟ هنا؟

- لا أدري.

أحاول النسيان، ونغرق في أحاديث، السماء تبدو صافية، والقمر بدراً، والجو يغريني بالذهاب.. ولكن الرائحة تطاردني، لن أفلت الليلة من هذه المطاردة.

- أستحث الخطى.. أحس بحاجة لأن أذهب إلى الشاطئ هناك سوف ألفظ بقايا شئ في معدتي.. الضوء يبدأ في الانحدار أعود في المساء الأخير وحيداً.

خيّل لي أني لن أصحو مبكراً فقد قضيت وقتاً طويلاً خارج الغرفة.. أعود متأخراً فأرى زميلي يغط في نوم عميق، وجو المكان لا يغريني بالنوم ألملم أغراضي، وأغادر إلى مكان آخر. يبدو أنني لن أنام الليلة. بدأت الساعة تشير إلى الثالثة صباحاً، ولا أزال أحاول القبض على

ذلك الهارب، ولكن لا فائدة بقي من الزمن أربع ساعات، وتعلن الساعة حالة الاستنفار القصوى تؤذيني الساعة برنينها المزعج.

رائحة المكان

الحذر يا أحمد.. فالسّلم على وشك الانهيار.. كلمات لا تزال عالقة في أذني يعيش في ذلك الزقاق. كان لابد لي من الوصول إليه، وكان لابد من أن أسلم عليه، وأجلس معه ولو لبضع دقائق.. أشعر أنني في حاجة إلى أن أفرغ ما في معدتي.. فالمكان تنبعث منه رائحة.

* * * *



لحظة الارتطام

بقلم/
هدى بنت فهد المعجل*

لا مناص من تهشيم النافذة طالما أن الضباب بالتصاقه الحميمي بها، لا يهيئ لي إمكانية رؤيته بوضوح..كنت قد أعددت لذلك عدتي.. مطرقة، ومسماراً، وكيساً بلاستيكياً لجمع الشظايا المتناثرة به.

أعلم أن هناك خلافاً ما بين كيس البلاستيك، والشظايا لدرجة أن الشظية إذا استشاط غضبها قد تمزق كيان الكيس وتفرمن أسره متساقطة أرضاً.. وأخشى لحظتها أن تدمي قدمي.

- لا يهم فأنا مصرة على ما هيأت نفسي له

استقبلت النافذة بوجهي.. المطرقة بيدي والمسمار باليد الأخرى

- ترى من أين أبدأ؟

- هكذا حدثت نفسي.

- من المنتصف، فأحدث فجوة تمكنني من رؤيته ملياً، أم من جانبيها فيتساقط جزء منها ويتشبث الجزء الآخر!

انتابتني حيرة شديدة لفترة من الزمن، وامتدت ساعات الحيرة حتى تعرق المسمار في يدي، فارتفعت حلة من الصدأ وخضب أطراف أناملي وجزءاً من كفي اليمنى دون أن أنتبه.. انبعثت رائحة الصدأ الكريهة في أرجاء الغرفة حتى زكمت أنفي فلم أجد بداً من موارية

• كاتبة سعودية.

النافذة قليلاً ريثما تفر رائحة النتانة خارجاً فيتجدد هواء الغرفة ويستعيد نقاءه.

مددت يدي اليمنى جهة مقبض النافذة أريد فتحها فاستعصت !! كررت المحاولة فأصرت على العصيان والمسمار مازال متعرقاً في يدي ومتشبثاً صدأه بأطراف أناملي ولا مجال لطرحه أرضاً خشية اتساخ (الموكيت) فيترك بقعة تصعب إزالتها.

مددت يدي الثانية لأساعد أختها في فتح النافذة وقد نسيت أني أمسك المطرقة بها.. فسقطت المطرقة على قدمي - العارية - بقوووة موجعة فصرخت صرخة مدوية، ارتطم على إثرها رأسي بالنافذة ارتطاماً أفزع (البلبل الجميل) الذي اعتاد أن يقف كل بزوغ فجر على أغصان السدرة المقابلة لنافذة غرفتي، ففر هارباً قبل أن أتمكن من رؤيته ملياً من خلال النافذة.

* * * *



متى أرتوي؟ ظمأ.. ظمأ..

بقلم/
ابتسام
شاكوش*

• كاتبة سورية.

المدينة الكبيرة تجثم في مكانها على الأرض، كحصان عجوز أرهقته جولات السبق وتراكم السنين، فارتمى يلفظ أنفاسه الأخيرة، ويطول به النزع، يرمي خلفه ذيلا إسفلتيا مهترئا عراه الجرب، يمتد الذيل متعبا، فاقدا القدرة على التحرك، لهشّ الحشرات المعدنية الزاحفة بجنون فوق إهابه المشقق.ظمأ ظمأ.......

نحن في نهاية عامنا الثالث من الرعب، مرت أيامنا بلياليها، بساعاتها وارتعاش الخوف في دقائقها وثوانيها، قطعتها بحثا عن الأمان، وقطعها بحثا عن تهمة مقنعة، ما تزال المسافة الفاصلة بيننا ثابتة، مازلنا نمشي على خطين متوازيين، ونسأل: إلى متى؟ مازلنا نمضي أمسياتنا صامتين، أبحث- كما يبحث- عن شيء نكسر به هذا الصمت، أدنو منه فينأى ثم أدنو فينأى، وأعود لأتساءل وحدي: إلى متى؟؟ الحافلة تطوي بنا الطريق طيا، ونحن في رحلة العودة ،كنت أوقع عقدا لطباعة كتاب جديد وكان لزاما علي اصطحاب زوجي في هذا السفر البعيد ،مازلت عطشى ، الظمأ سيد الموقف أنا لا أحب الشرب من المناهل العامة، ولا من الزجاجات المخبأة تحت مقاعد الحافلات (الطقس غائم جزئيا) هكذا قالوا في نشرة الأخبار، دوائر الضوء المتسرب من بين الغيوم تتراكض في الصحراء الممتدة على جانبي الطريق، تنشر



مناديل صفراء بلون الخوف الساكن في عينيه، ثم يعود فيلمها لينشرها في أماكن أخرى، يتمسك بي، يطوق خصري بذراعه، يشدني إليه بقوة، يقاوم الرعب المسيطر على جوارحه ويسأل: أما زال مكتب الصحيفة في البناء الذي أعرفه؟ أجيب ببلاهة: أجل ، تتراخى ذراعه ويشيح بوجهه عني، يحدق في مسند الكرسي أمامه ويعود ليسأل:

- متى ستقام الندوة المخصصة لمناقشة كتابك الجديد؟

- بعد خمسة أيام

- ماذا قال لك رئيس التحرير؟

- لم يقل شيئا

يفلت يدي ويهرب بعيدا بعيدا، يدير وجهه إلى النافذة ويغمض عينيه، تنبئني رعشة يديه عما يدور في خلده من أفكار تعذبه، ألحق به ، أتمسك بيديه، يأخذ مني المجلة يبدأ بتقليب صفحاتها، أنا عالمة أنه لا يرى صورة من الصور المنشورة فيها ولا يقرأ كلمة، أمسك يده بحنان فتهدأ ثائرته بعض الهدوء، يسند رأسه إلى كتفي مغمض العينين، لماذا يغمض عينيه وأنا في لحظات نجاحي؟؟ أعرف الجواب أعرفه جيدا، انه لا يرغب برؤية شيء جديد، تكفيه الرؤى المرعبة الساكنة في أعماقه، ناشرة ظلالها حزنا وبؤسا على قسماته، تمنعه من مشاركتي فرحة نجاحي بولادة هذا الكتاب الجديد، رأيت ذلك جليا حين استقبلنا مدير دار النشر، أشرت إلى باهي معرفة:



هذا زوجي، انحنى الرجل احتراما، صافحه بمودة، ثم انصرف عنه وراح يتحدث إلى، ويعرف ضيوفه علي، أكثرهم قد سمع باسمي أو قرأ شيئا من كتاباتي المنشورة في الصحف، بينما بقي باهي على هامش المجلس، صامتا مهملا، لا يلتفت إليه أحد، استأذن الحضور وخرج ليدخن سيجارة على الشرفة، موفرا بذلك على أذنيه سماع المزيد من كلمات المديح، لي، ولكتابي الجديد.

- من هو المقصود بقصتك التي نشرت في الأسبوع الماضي؟

تنهض لائحة على يمين الطريق ، من بين الركام ، تحمل عبارة قرعاء (ممنوع إلقاء الأتربة تحت طائلة الحجز) بينما تشكل أكوام الأتربة سورا عاليا يحجب الرؤية،ممنوع؟؟ ترى من وضع هذا التحذير؟؟ والى من يوجه هذا المنع؟؟ تحت طائلة الحجز؟؟ ماذا سيحجزون؟؟ هل وضعت هذه اللافتة قبل انتقال هذه الأكوام إلى هنا أم بعد؟؟ أم أن الأوامر المكتوبة على اللوائح العريضة كتبت خصيصا لتشير إلى الناس كي يمشوا عكس اتجاهها؟؟ مازلت ظمأى، لن أشرب سوى ماء نظيف صافٍ، لابأس من تحمل العطش ساعات أخرى أحاول فيها الخروج من أسر هذا الشعور واخراج باهي معي.

- ماذا بعد؟؟ هيا تكلم ودعني أحلم بالمستقبل، ارسم لي ملامح المرحلة القادمة وعودتك إلينا - احلمي....الحلم لا يحتاج استئذان أحد



-هل أتخيلك رفيقا قويا يشد أزري أسند إليه ظهري وأنعم بالأمان؟؟؟ لا يجيب أم أتخيلك رجلا - سيدا يأمر فيطاع، يدخل البيت غاضبا ، يضرب ويصرخ ويحطم الأواني؟؟

متى أرتوي؟ ظمأ.. ظمأ..

يهز رأسه باسما وعلى وجهه علامات الرضى، أفرح ، إذ أعتقد أني أحدثت ثغرة صغيرة في بركان غضبه الصامت الموشك على الانفجار، وعندي كبير أمل بإحداث ثقوب أخرى أمتص من خلالها بعض الضغط المتحكم فيه، ليجري بعد ذلك نهرا عذبا، دفاقا بالحب، صافيا يروي ظمأي.

- هل ستتركني مستقبلا أسافر وحدي؟؟
- سأكسر ساقيك لو فعلت
- بماذا؟؟ أية أداة سوف تستخدمها لهذه الغاية؟؟
- الحب ، ويبتسم....

يقولها وقد تحول الرضى على وجهه إلى فرح طفولي رائع، تنتقل إلى منه عدوى الصمت فأفكر: هل يكسر الحب الأيدي والأرجل؟؟

ليتك يا باهي تملأ علي حياتي لأكسر ساقي بنفسي وأمتنع بإرادتي عن كل ما من شأنه أن يعكر صفوك ولكن..... أين منا الحب الذي يكسر أو يجبر؟؟ إن هي إلا سويعات قليلة في اليوم تعيشها في البيت، تمضيها نائما أو غارقا بين الأضابير والملفات، وننسحب أنا والأولاد في الحالتين ، لنوفر لك الهدوء الذي تحتاجه، أولادنا مشتاقون دوما لك، يحشدون



أفـراحـهم ومـحـبـتـهم كل يوم لاسـتـقـبـالك، يخـبـئـون أحـلامـهم وشـكواهم ليـفـردوهـا بين يديك، وأنت دائـمـا على عـجلة من أمـرك، تهـشـهم عنك و تجـري، لا تكاد تمسـح على رأس أحـدهم مـرة واحـدة في الشـهـر، يتـراجـعـون خـائبين أمـام إهمـالك، وأتراجـع مـعـهم، يمضـني الألم، على آمـالهم المسـفـوحـة في دروب انتظارك، ينشـغلون بألعـابهم وكتـبـهم، وأبقى وحـدي، أحـاول حل مشاكلهم ومشاكلي في غنى عنك.

الأولاد لا تقنعهم حججي وذرائعي التي أنتحلها دفاعا عنك ، يريدون أبا يحس بهم، وأريدك زوجـا يـعـينني على الحياة لأحيا، أحـاول إقناعهم بالكفاف الذي ترميه لنا، بينـمـا تذهب أمـوالك كلهـا في تمويل مـشـاريعك، أحـاول إفهامهم أن والدهم رجل شـريف، وأن الشرف والمال قلما يلتقيان، يرشـقونني بأسئلة كالسـهـام: هل تعنين أن عـمي وخـالي وجـارنا ليـسـوا أشـرافـا؟؟هم يصطحـبـون أولادهم إلى النـزهـات ويقـدمـون لهم الهـدايا ، مـا هو الشـرف يا أمي؟؟ ألـوذ بالصـمت، مـثلك تمامـا ، ألهـيـهم بحكايات تنسـيـهم مـؤقـتـا تلك الأسـئلة، يسـبـحـون في يالاتهـا فيتحـررون تحـررا زائفـا من الإحسـاس بالغبن، بعد نـومهم أعـود لأقـلامي وأوراقـي أغـرف من آلامي وأسـكب على السطور، ها هي ذي، تؤتي ثمـارها، كـتـاب في المطبـعـة يضـاف إلى رصـيـدي الأدبي ، وندوة لمناقـشـة كـتاب آخـر تحدد موعدها بعد أيام ، ونقود أقبضها من هنا ، لأشتري بها فرحة أولادي، أعطيهم ما حرموه منك ، ليشعروا أنهم



لا يقلون عن أترابهم وأندادهم بما يكسر قلوبهم البريئة.

- هل سأستمر في العمل الصحفي؟؟

- لا تتغابي.....

يقولها بحزم وقد سقطت عن وجهه ومضة الفرح العابر، لاتتغابي؟؟ كيف لا أتغابى الغباء نعمة كبرى يا باهي، والنعمة الأكبر هذه القدرة على التغابي أمام سوء ظنك، واتهاماتك المبطنة والصريحة، ومحاولاتك الدائمة للانتقاص من قيمة نجاحي، لولا التغابي لانفجرت في وجهك، وألقيت المسؤولية التي أنوء بحملها وحدي، أتراك تدفع بي لهدم بيتنا لتحملني عبء ضياع الأولاد؟ أم أنك ستهدمه فوق رؤوسنا وتنصرف لشأنك؟؟ الحافلة تدخل بنا منطقة جغرافية جديدة، تنهض فيها تلال صغيرة متتابعة ، تلال مكورة كالبطون ، كأننا في مركز لرعاية النساء الحوامل، ترى بأي شيء تحبل هذي التلال؟

ولو قدر لها أن تلد، أية مواليد ستخرج من بين الصخر والتراب؟ هل تلد حجارة؟ أم تلد ذئابا وثعالب؟

مؤكد أنها سوف تلد بنات آوى، التي لا تنشط إلا في الظلام لتهاجم طرائدها الهالكة السنوات ا لثلاث التي مرت على إصدار كتابي الأول حبلى بالصمت، صمتك يرعبني يا باهي ما الذي سينجبه هذا الصمت؟؟ أنا لا أعرف، وأجزم أنك لا تعرف، لكننا متفقان على أنه مخيف، مرعب، لذلك نتحاشى انفجاره، وكل محاولاتي لكسره قبل الانفجار باءت بالفشل.

متى أرتوي؟
ظمأ.. ظمأ..



- ما تظنين أن يطلب الطفل؟ هل يطلب سوى الصدق والحنان؟؟

-أي طفل؟؟

- أقصد الإنسان، الرجل

- هل وجدتني ظالمة؟ أم كاذبة؟؟

يصمت مفكرا مازال يتحاشى إغضابي، مازال يدور حول فكرته ولا يلامسها، يضمر في نفسه ما أراه واضحا على كل فعالياته، يتألم من سماع اسم زوجته تتداوله الألسن في المحافل الأدبية، ويتردد على شفاه زملائه من قراء الصحف، يصمت، مغلفا كل أحاسيسه بغيرة الزوج

- ماذا قال لك الناشر؟ بماذا تحدثت إلى الصحفي؟ هل ركبت المصعد الكهربائي وحدك؟؟ أجيبه صمتا، وأقسم أن هذه الأرض ما حملت على ظهرها منذ تكوينها بشرا أحب إليَّ منه ولكن ، هل يشفع الحب حين يسود الشك؟؟ لا أريد الوصول بأفكاري إلى هذا الحد ،لا أريد لأولادي أن تداس سمعة أمهم ، لا أطيق فجيعتهم بشرفهم ،كان تسلق القمم أحد أحلام طفولتي ، هاهي القمة الصعبة حيالي، ذروتها الحفاظ على بيتي وأولادي، أتسلقها بصعوبة بالغة ، طريقي محفوف بالمخاطر، مزروع بالألغام، ويتنامى خوفي من اكتشاف أن وراء الأكمة مثل ما أمامها، فراغ وظمأ...يطول الصمت فيدنو مني، يمسك يدي بحنان، يسند رأسه إلى كتفي مثل



طفل يقر بذنبه ويطلب السماح، دوائر الضوء الأصفر تتراكض عبر الصحراء، بسرعة مطردة مع سرعة الرياح، التي نشطت فراحت تدفع بالغيوم شرقا كأنها تستكثر بعض الرذاذ على هذي الأرض.كأن هذا المكان لا يستحق منها سوى الظمأ، ونصل بلدتنا صامتين، معدته وأحشاؤه تتشنج احتجاجا على كل شيء، ويبقى الخوف، حاجزا يفصل بيننا، ممتدا على بساط واسع.. واسع من الظمأ.

* * * *

الخيال والعنصر العقلي في الفن

بقلم/
جبريل إسماعيل سبعي•

• كاتب سعودي، عضو نادي جازان الأدبي

الكثير من الدارسين يحجمون عن وضع تعريف للخيال، ذلك أنه من الصعوبة بمكان حد الخيال في تعريف جامع مانع، لما لهذه الملكة من غموض في الكنه والماهية، ولما لها من خفاء في كيفية النشاط، وفي آلية العمل، ولما لها أيضاً من ارتباطات معقدة بقوى العقل والروح والنفس وبمدركات الواقع الخارجي التي لا تكاد تحصر، غير أن معظم الدارسين متفقون على أن الخيال قوة خلاقة «قادرة على استقبال صور جميع الأشياء المحسوسة وعلى تخيلها عندما لا تعود على اتصال مع الحواس» [١] ثم هي بعد ذلك تتصرف فيها «بالتركيب والتحليل والزيادة والنقص»[٢] حتى تشكلها «في نظام جديد، وفي علاقات لم توجد من قبل»[٣].

ويجمع نخبة من الفلاسفة والدارسين على أن الخيال إحدى قوى العقل الواعي، فهو «القدرة التي يستطيع العقل بها أن يشكل صوراً للأشياء أو يشاهد الوجود»[٤] كما أنهم «يقيدون مفهوم الخيال بأنه ما صدر عن وعي عقلي»[٥] وعليه فإن «العمل الفني ليس نتاج الحواس كما يظن البعض بل هو نتاج العقل»[٦] وذهب هيجل إلى أن «العمل لا يكون عملاً فنياً إلا بقدر ما يكون من نسل العقل ويواصل الانتماء إلى عالم العقل»[٧] لأن الفن «يبدع الأشكال الحسية منبجسة من



أعماق الوعي» لكن ذلك الوعي «[٨] غير تام ولا يمكن له أن يكون تاماً لأن صاحبه يتعامل مع حقائق كامنة وراء الظواهر والمحسوسات»[٩]. وهناك أمر هام أود الإشارة إليه هو أن الخيال لا يمكنه أن يعمل إلا على مساحة الوجدان، حتى إن المواد المشكلة لـ « تنتظم بتأثير قوته وقوة الانفعال داخل نسق متحد منسجم»[١٠] وعلى هذا الأساس عرف الخيال بأنه «قوة ذات نشاط ذهني توحد بين القلب والعقل، بين الوعي واللاوعي، تثار بحافز عميق ويصحبها انفعال منظم، لتنتج صوراً وأشكالاً تعبر عن تجارب متجاذبة متنافرة لكنها منظمة منسجمة وتؤلف كلاً موحداً»[١١].

ويعتمد الخيال اعتماداً كلياً على المحسوسات إذ إنه «لا يستطيع التعامل مع أي شيء لا يملك جزئياً أو كليا شكلاً حسياً»[١٢] وعناصره إنما يستمدها «من الوجود فيركبها تركيبا جديداً »[١٣] وقد ذهب تندال «إلى الإقرار بأن العالم المرئي ليس سوى مخزن للصور والإشارات التي تظل بحاجة إلى من يكتشفها إلى أن يأتي الخيال ويهيئ لها مكانها ويضفي عليها قيمتها»[١٤] ومن هنا فـ«الخيال الفني لا يستعين بالواقع الحسي لذاته بل لتجاوزه إلى قيمه ورمزياته، فيصبح الواقع الحسي أفكاراً ذاتية، وتصبح الأفكار الذاتية واقعاً حسياً»[١٥].

ويمكن القول بأن الخيال يكاد يكون اعتماده الكلي على الصور البصرية لأن «الإحساسات البصرية هي أهم

الخيال والعنصر العقلي في الفن

مصدر للإدراك، كما أنها هي الإحساسات التي يصبح نعتها بالجمال، حتى لقد عرَّف ديكارت الجمال بقوله: «هو ما يروق العين»(١٦) و «حتى إننا لنتخيل فكرة الجمال ذاتها في شكل بصري»(١٧) وذهب إديسون إلى أننا «لا نستطيع أن نتخيل صورة ليست بصرية في أساسها »(١٨) لأن «كل الأنشطة الحيوية المعقدة داخل العقل تحدث نتيجة لنشاط التفكير الفعال الذي يحدث في حالة الصور»(١٩).

وبالمقابل فقد جعل بعضهم الصورة السمعية «من أكثر الأحداث الذهنية وضوحاً »(٢٠) وعليه فإنها المعتمدة الأولى في النشاط التخيلي، لما لحاسة السمع - أساساً- «من أهمية في إدراك الجمال فهي عماد كل نمو عقلي وأساس كل ثقافة ذهنية»(٢١).

وذهب آخرون إلى عدم التفرقة بين حاستي السمع والبصر في اعتماد النشاط التخيلي عليهما حيث إنهما «من أفضل الحواس الخمس وأشرفها التي وهب الباري جل ثناؤه »(٢٢) للإنسان، واعتقد سانتيانا أن «حاستي البصر والسمع هما حاستا الجمال العليين في مقابل الحواس الدنيا (اللمس والذوق والشم) التي لا تخدم الأغراض العقلية بمثل ما تفعل تلك الحاستان»(٢٣) وأما هيجل فقد قصر الفن عليهما لما لهما من ارتباط مباشر بالعقل(٢٤).

وإذن فـ «الصورة البصرية والسمعية هي أداة الخيال، ووسيلته، ومادته الهامة التي يمارس بها، ومن خلالها



فاعليته ونشاطه»[٢٥] وهي جانبه الملموس الذي يمكن أن نتبين خلاله آثار العقل والوجدان، وعلى هذا فقد عرفها باوند بأنها «تلك التي تقدم تركيبة عقلية وعاطفية في لحظة من الزمن»[٢٦].

يمر الخيال في أثناء العملية الإبداعية بثلاث مراحل أولاها: مرحلة التصور الذهني وفي خلال هذه المرحلة يتم «استحضار صور المدركات الحسية... من غير تصرف فيها بزيادة أو نقص أو تغيير أو تبديل»[٢٧] وتجتمع الصور في الخيال كما هي؛ فالصور «البصرية ملونة، وبحسب هيئاتها الهندسية الطبيعية والصناعية»[٢٨] والصور السمعية كذلك، وما التصور البصري سوى استدعاء ما سبق أن شوهد فعلاً، وكذلك التصور السمعي، هو استدعاء ما قد تم سماعه بالفعل[٢٩].

ينقسم التصور بحسب «لوك» إلى «بسيط (منشَؤُة حس واحد) ومركب (منشَؤُة عدة أحاسيس) فتصور الحرارة بسيط بينما تصور الجسمية مركب لأنه إنما يأتي من تصور الحجم والوزن.. و.. »[٣٠]. «ويقسم «لوك» التصور أيضا فقد يكون تصورا لذات شيء، وقد يكون تصوراً لحالة، وقد يكون تصوراً لعلاقة بسائر الأشياء»[٣١] و«قد يكون مثبتا، يكشف عن وجود شيء، وقد يكون منفيا يكشف عن عدمه»[٣٢] «والتصور هو عبارة عن قدرة عقلية»[٣٣] واعية لأنه «علم النفس بما فيها من صور الحقائق الخارجية»[٣٤].



ويتم استدعاء الصور عن طريق الذاكرة من العقل الباطن بحسب علاقات أربع هي: (١) الوحدة (٢) أو عدمها (٣) المقارنة (٤) إثبات شيء لشيء[٣٥].

«ويختلف الناس من حيث نوع الصور الذهنية التي تغلب على تفكيرهم، فبعضهم يسهل عليه تصور المناظر وأشكال الأشياء، وآخرون يسهل عليهم تصور الأصوات والأنغام.. وقد حدا هذا ببعض العلماء إلى تصنيف الناس حسب الصور الغالبة على تفكيرهم إلى طرز تصورية فهناك «البصريون» و«السمعيون»[٣٦] والشعراء بطبيعة الحال» يختلفون فيما بينهم من حيث قدراتهم على التخيل، مما قد يؤدي ببعضهم إلى الإلحاح على نمط بعينه من أنماط الصورة»[٣٧].

وبطبيعة الحال فالتفكك الفني عادة يمثل طبيعة العلاقة بين الصور في مرحلة التصور، لأن هذه المرحلة تسبق عمل الخيال، وفيها يتم فقط جمع الصور ذات النمط الواحد تقريباً، ووهم من ظن أنه بوصوله إلى هذه المرحلة قد أبدع نصاً، لذا فقد سميت هذه المرحلة بالوهم أو التوهم، يقول الدكتور إحسان عباس: «الوهم هو القدرة على جلب صور متباينة لشبه ما فيما بينها، وهذه الصور ثابتة محدودة وتبقى حين تجمع كما كانت وهي مفرقة، وليس بينها علاقة طبيعية أو خلقية.. والفعالية التي تفسرها هي الاختيار وهو مظهر من مظاهر الإدارة»[٣٨] ويقول في موضع آخر: الوهم هو القوة على الحشد والجمع [٣٩].



وثاني المراحل التي يمر بها الخيال في أثناء العملية الإبداعية مرحلة التخمر. في هذه المرحلة تتجمع المحسوسات على سطح الوجدان ثم يشرع الخيال في فحصها حتى تتكون الآراء حول علاقة المحسوسات ببعضها أي حتى يتكون الفكر الناشئ من فحص الخيال للعالم في صورته الذهنية، وتتميز هذه المرحلة بالكمون من ناحية الخيال، فالحركة الحقيقية للذاكرة، وأما الخيال فمهمته تنحصر في محاولة تفهم العلاقات الفكرية بين المحسوسات، وكذا تبين الأثر الشعوري الممكن تكونه بعد عملية التشكيل التي ينوي عملها لاحقاً.

وثالث المراحل التي يمر بها الخيال في أثناء العملية الإبداعية مرحلة التشكيل. في هذه المرحلة يقوم الخيال «بتركيب وتأليف للمدركات الحسية على نحو يغاير ما كانت عليه: إما لأنها في الأصل عرفت مفردة، أو لارتباطها بمكان معين، أو زمن خاص فهنا يتجاوز الخيال حدود المكان والزمان والعلاقات القائمة واقعياً»(٤٠). «فيضع الأشياء المألوفة في نظام جديد، وفي علاقات لم توجد من قبل»(٤١). ومثل هذه المرحلة تتطلب من المبدع ما يسمى بالذكاء الحيزي، ذلك الذي عرفه العالم الإنكليزي «نايت» بأنه «القدرة على التفكير في العلاقات تفكيراً بنائياً موجهاً نحو هدف»(٤٢) والذي وصفه أيضاً ريتشاد ليفيتون بأنه «قدرة على التفكير بشأن الصورة ونقل العالم الحيزي - المرئي »(٤٣) وما



ذلك الاحتياج إلا لأن «فكرة التشكيل في الفن تمتزج فيها التلقائية والمنطقية..فعنصر التصميم لابد أن يوجد في الفن»(٤٤).

الهوامش:

(١) نجاح رئيس سفر، عالم الخيال في نظرية وحدة الوجود عند ابن عربي، مقال مترجم عن « المجلة البريطانية للدراسات الشرق أوسطية » للأستاذ سامر عكاش المحاضر في إحدى جامعات استراليا.

(٢) أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، (مزيداً من الخيال أيها الكتاب)، التوباد، العدد ١٨ربيع أول١٤١٩هـ

(٣) د. شفيع السيد، قراءة الشعر وبناء الدلالة ص ٢٤٩، دار غريب - القاهرة.

(٤) أبو عبد الرحمن بن عقيل، نفسه.

(٥) أبو عبد الرحمن بن عقيل، نفسه.

(٦) مجاهد عبد المنعم مجاهد، علم الجمال، ط٣، ١٤٠٦هـ، ص, ٢٠٣

(٧) مجاهد عبد المنعم مجاهد، نفسه، ص, ٢٠٣

(٨) د. عبد الله المغامري الفيفي، الصورة البصرية في شعر العميان، ص ٢٨٣،ط١، ١٤١٧هـ،١٩٩٦م، النادي الأدبي بالرياض.

(٩) د. عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في النقد الشعري، ص٨٣،ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض.

(١٠) د. عبد القادر الرباعي، نفسه، ص , ٨٠

(١١) د. عبد القادر الرباعي، نفسه ص , ٨٢

(٢١) نجاح رئيس سفر، نفسه.

(٣١) أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، نفسه.

(٤١) د. شريف مفلح، نظرية الخيال، المنهل، جمادى الأولى، ١٤١٨هـ

(٥١) د. عبد الله المغامري الفيفي، نفسه، ص٢٨٤-, ٢٨٥

(٦١) إبراهيم محمد علي، اللون في الشعر العربي قبل الإسلام، ص ٣٨، ط١، ٢٠٠١، جروس برس، طرابلس - لبنان.

(٧١) د. عبد الله المغامري الفيفي، نفسه، ص ٢٨٤-, ٢٨٥

(٨١) د. جابر عصفور، الصورة الفنية، ص ٣١١، ط٣، ١٩٩٢، المركز الثقافي.



(٩١) بتصرف، ريتشارد ليفيتون، بناء العقل، ص ٣٤٦، ط ١، ٢٠٠١، مكتبة جرير.

(٢٠) د. صاحب خليل إبراهيم، الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام، ص ١٣٩، ط٢، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، مركز عبادي للدراسات والنشر - صنعاء.

(٢١) د. صاحب خليل إبراهيم، نفسه، ص ١٤٠.

(٢٢) د. جابر عصفور، نفسه، ص. ٣١١

(٢٣) د. عبد الله المغامري الفيفي، نفسه، ص. ٢٧٧

(٢٤) انظر، مجاهد عبد المنعم مجاهد، نفسه، ص. ٢٠٥

(٢٥) د. جابر عصفور، نفسه، ص ١٤.

(٢٦) د. عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ص ١٣٤، ط٥، ١٩٨٨، دار العودة، بيروت.

(٢٧) صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص٨٧،ط٢، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، دار المنارة - جدة.

(٢٨) د. فايز الداية، جماليات الأسلوب، ص ٢٨، ط٢، ١٤١١هـ، دار الفكر المعاصر، بيروت.

(٢٩) انظر: د. وليد مشوح، الصورة الشعرية عند عبد الله البردوني، ص ٥٨، كتاب الرياض، العدد٨٤،١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، مؤسسة اليمامة الصحفية- الرياض.

(٣٠) محمد تقي المدرسي، المنطق الإسلامي أصوله ومناهجه ص ٤٩.

(٣١) محمد تقي المدرسي، نفسه، ص ٤٩-٥٠.

(٣٢) محمد تقي المدرسي، نفسه، ص ٤٩

(٣٣) د. وليد مشوح، نفسه، ص ٥٨.

(٣٤) محمد تقي المدرسي، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، ص ٨١.

(٣٥) انظر: محمد تقي المدرسي، نفسه، ص ٤٩.

(٣٦) د. أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، ص٢٧١، ط١٠،١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

(٣٧) د. جابر عصفور، نفسه، ص ٣١٠.

(٣٨) د. إحسان عباس، فن الشعر، ص١٥٠-١٥١، دار الثقافة- بيروت.

(٣٩) د. إحسان عباس، نفسه، ص. ١٠٥

(٤٠) د. فايز الداية، نفسه، ص ٢٩.

(٤١) د. شفيع السيد، قراءة الشعر وبناء الدلالة، ٢٤٩،دار غريب - القاهرة.

(٤٢) د. فاخر عاقل، علم النفس، ص٤٠٣، ط٩، ١٩٨٤، دار العلم للملايين - بيروت.

(٤٣) ريتشارد ليفيتوم، نفسه ص ١٩.

(٤٤) د. محمد صالح الشنطي، في النقد الأدبي الحديث، ص ٣١٠، ط١، ١٤١٩هـ، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل.



مقدمات القصائد بوصفها تجديداً

بقلم/
سعود بن سليمان اليوسف*

● كاتب سعودي.

مقدمة:

ما يزال هاجس التجديد ناقوساً يدق في تخاييل العراء، حتى أرّق الشعراء المبدعين، فأظهروا لنا القصيدة الحديثة بأفضل مستوى أمكن أن تصل إليه منذ عرف العربي الشعر، فمن شعر التفعيلة إلى تكثيف الصورة إلى اللغة العصرية... حتى لم يعد الشاعر قانعاً بالإبداع في القصيدة وحدها، بل تعدى اهتمامه ذلك إلى عناوين القصائد، واللافت للنظر أن الشاعر الحديث أصبح يكتب مقدمة لقصيدته.

ولم تشهد العصور القديمة اهتماماً ولو بسيطاً بهذا الفن، والذي نراه من مقدمات في الدواوين القديمة هو إشارات وضعها المحققون، بدليل أنها على هذا النمط: «وقال يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف ويذكر وقعته بالخُرَّمية»(1)، ولن أتناولها لأنها ليست مظهراً إبداعياً عنى به الشاعر نفسه.

دواعي كتابة المقدمات:

يظهر من خلال استقرائي لتلك المقدمات أن من دواعي كتابتها ما يلي: انبهار العربي بالنموذج الغربي، فالشاعر (فيديريكو غارثيا لوركا) مثلاً وضع مقدمة مقتبسة: «أجل، طفولتك: هي الآن خرافة من الينابيع (خورخي غيين) لقصيدته (طفولتك في مينتون) (2)،



ولوركا شاعر أخذ مكانته عند أدباء عرب تأثروا به، وهاهو أحد المتأثرين بالادب الغربي يضع مقدمة لقصيدته (كلمات الجراح الطليقة) وهي» أنا كلمة يتهجاني الآن كائن ما(أوكتافيو باث) (٣).

وتكون المقدمة إشارة إلى مناسبة القصيدة.

كما تمثل المقدمة عبارة إهداء لمن كُتبت القصيدة له، وسيأتي الحديث عن ذلك، ولا يظهر لي هذا السبب والسبب الذي قبله عنصراً في تكوين الإبداع.

والجانب الأكثر إبداعاً وتجديداً هو أن تكون المقدمة مدخلاً شفافاً لموضوع القصيدة، ويتفاوت الشعراء في تلك الفنية الدقيقة في تكوين هذا المدخل.

وسبب قوي- كما أراه - هو نزوع الشاعر الحديث إلى التجديد المطرد.

أنواع المقدمات:

اختلفت طرق الشعراء في كتابة المقدمات، وذلك يظهر واضحاً من توجهات الشعراء أنفسهم، فالشاعر التقليدي يكتب المقدمة تقليدية لا تحمل جانباً إبداعياً في الغالب، وتكاد تلك المقدمة أن تعطيك مباشرة ما يريد الشاعر قوله، أما الشاعر المجدد فيكتب مقدمة قصيدته محلقة في الخيال كما يكتب قصيدته - غالباً -، وبعد إدامةِ نظرٍ في مقدمات القصائد ظهرت المقدمات تحت الأنواع التالية:

١ - المقدمة/ المناسبة:

وهذا النوع يظهر واضحاً في قصائد المناسبات،

مقدمات القصائد بوصفها تجديداً

وتكون المقدمة إشارة صريحة إلى سبب كتابة القصيدة، ويمكن من خلالها فهم موضوع القصيدة، مثل: «في وضع حجر الأساس لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية» في قصيدة (بناء المجد) لمحمد الدبل[٤]، و«كُتبت بمناسبة أحداث النفق الذي حفرته إسرائيل تحت المسجد الأقصى» في قصيدة (العود إلى السماء) لجاسم الصحيح[٥]، وقد يكون ذكر مكان الإلقاء إشارة واضحة إلى بيان المناسبة، مثل: «ألقيت هذه القصيدة في الحفل الثقافي الكبير الذي أقيم بمعهد أبها» في قصيدة (مراقي الفضاء) لزاهر الألمعي[٦]، «في ذكرى شاعر العرب العظيم محمد مهدي الجواهري»[٧]، في قصيدة (أبا الفرات) لغازي القصيبي، وهذا النوع ليس إبداعاً، وإنما جملة خبرية عادية تحمل تصريحاً بمناسبة القصيدة، وهو - كما أراه - إحراق لفكرة القصيدة، والذي يغلب على قصائد المناسبات أنها تقريرية سطحية، فما بالك إذا صُدرت بتلك المقدمة؟ مع أني أرى أنه لابد من تلك المقدمات في مثل قصائد الرثاء؛ إذ لن يعرف المرثيُّ إلا بها، خصوصاً في القصائد الحديثة، مثل «إلى ع.د بعد عام ونصف»[٨] في قصيدة (رعشة الذكرى) لعبدالله الرشيد، ولكن بعض المقدمات/ المناسبة تشتمل على إبداع جميل، مثل: «إلى رفيق المرحلة الاذاعية صالح السويدان الذي شكل مغادرته موسما من مواسم كآبتي الفنية» في قصيدة (من عزلتي أوصى بي القتال) لعبد الله



الزيد[٩]، فقوله: «شكل بمغادرته موسماً من مواسم كآبتي الفنية» يشكل وحده إبداعاً ويترك لكل حرية في الخيال، تحاول من خلالها اجتلاء الكآبة الفنية، و «إذا انكسرت قارورة العطر تحرر شذاها من كل قيد، كذلك كان رحيل الشيخ عبد الوهاب الغريري» في قصيدة (رحيل معلم) لناجي الحرز[١٠]، فهذه الصورة الفلسفية التي شبه بها ناجي الحرز رحيل المرثيِّ صورة محلقة في الإبداع، و «إلى قريتي النائمة تحت جنانها الوارفة، مرتكبة خطيئة الجمال» في (حب وقصيدة) لإبراهيم الألمعي[١١].

٢- المقدمة/ الإهداء: وهذا النوع لا تكلف فيه - غالباً-، إذ إنه لن يتعدى في الغالب عبارة:(إلى فلان)، ومن النماذج على ذلك: «إهداء إلى ابن الجزيرة محمد بن عبد الله الهويل» في قصيدة (إني على ما أحتسي صبار) لعبد الله الزيد[١٢]، و «مهداة للصديق الأمير الشاعر خالد الفيصل رفيق الستين» في قصيدة (في عامي الستين) لغازي القصيبي، وهذا النوع ليس إبداعاً، إلى أنه قد يكون مصحوباً بجمل إبداعية/ مثل: «إلى الصوت النابع من قلب النيل الشاعر الشاب على فريد في قصيدة (قيثارة في كوخ الأوجاع) لجاسم الصحيح، وإلى الصديق العازف على أوتار قلبي/عبدالوهاب الحسن، مع مجرة من الإعجاب في قصيدة (دمعة في شكل ابن آدم)[١٣]، لجاسم الصحيح».

٣- المقدمة/ الاختزال:

وهذا نوع- كما يتضح من عنوانه - اختصار للقصيدة، خصوصاً إذا كانت القصيدة حوارية أو قصصية، مثل: «عندما كان الطفل غارقاً في تأمل ما بناه على الرمال فاجأه شاعر غارق في همومه فهدم كل ما بناه بعجلات سيارته» في قصيدة (مهلاً) لناجي الحرز، والذي يقرأ القصيدة يدرك من وشاية المقدمة أحداثَ القصيدة وما انطوت عليه وكذلك «صورة كنت أمر بها وتمر بي، في الطريق البري بين جدة والمدينة، في هجير الصيف وفي قر الشتاء، وكان البعض ممن يركب معي ينظر إلى تلك الهياكل بكل ما وسعه الحقد والحنق، ويتهامسون: لقد انتقم الله من هذه البادية على ما قدمت وما قطعت الحجيج، ويستشعر بعضهم أنه يأثم إذا مد إليهم يداً بمساعدة»(١٤)، في قصيدة (أفلاذ الصحراء) لماجد الحسيني، وأنا لا أؤيّد هذا النوع من المقدمات، لأنه يعري تفاصيل القصيدة قبل أن تُقرأ، ومن أحسن الأدلة على ذلك: «توطئة: صورتان، بينهما ست عشرة سنة، إحداهما لصبي في السابعة يدخل الحياة العلمية دامع العينين، والأخرى للصبي نفسه شاباً يتدفق طموحاً وهو يستقبل حياة عملية جديدة» في قصيدة (نفاثات الشجن) لعبد الله الرشيد، فأنت حين تقرأ القصيدة قبل أن تقرأ المقدمة تجدها قصيدة، وحين تقرأها بعد أن تقرأ المقدمة تجدها نظماً لتلك المقدمة، لأن هذا النوع - كما أراه - يكشف تداعيات النص.



٤- المقدمة/ المدخل:

وهو نوع يحمل أحياناً نوعاً من المباشرة، وقد تكون القصيدة محتاجة إليه بعض الشيء فقد تكون القصيدة غامضة جداً بدون هذه المقدمة وقد لا تكون، ومن هذا النوع: «قال لها عندما حاولت إنكار هواه» في قصيدة (أدنُ مني) لناجي الحرز، و «وجدوا هذه الأوراق في جثة جندي عراقي فجمعوها فكانت كما ترون» في قصيدة (أوراق ممزقة) لحبيب بن معلا المطيري[١٥]، و«خرج إلى المتاهة وهو في ربيعه الثاني عشر وظل هناك نخلة عربية في الأرض الأمريكية»[١٦]، في قصيدة (إلى عمار) لراضي صدوق و«لم أكن نائماً ولكنني لم أكن مستيقظاً وكل ما أذكره أنني ألقيتُ بنفسي على الفراش مستقبلاً القمر، وقالوا: إنني قلت هذا يومها» في قصيدة (أطياف) لماجد الحسيني، و«صور من زقاق بغدادي» في قصيدة (مرثية امرأة لا قيمة لها)[١٧]، لنازك الملائكة، و«كنتُ أهصر سعف النخيل، حذار أن يمنع عيني من رؤيتها إذا أقبلت، أما الآن فليتهدل السعف، فهي لن تأتي»[١٨] في قصيدة (تنهدات) لبدر شاكر السياب. وأرى أنه لو حذف من المقدمة قوله: «فهي لن تأتي» لكانت المقدمة أجمل تصويراً، وأصبحت المقدمة نفسها نصاً مفتوحاً ومدخلاً أكثر رحابة، و« .. مرت خمس سنوات على الوداع وفجأة.. رأى طفلتها» في قصيدة (طفلتها) لأمل دنقل، و«رأى أمامه صبية يتراكضون لاهية قلوبهم، فغامت العينان وخفق الفؤاد..» في قصيدة (طقوس من الوجد)، و«وقفة



على حائط مهمل..» في قصيدة مجاذبة) لعبد الله الرشيد، وأرى أن المقدمة/ المدخل محك للإبداع، حيث إنها بداية للنص، ولكن إذا أخفق الشاعر في توظيف هذه الأداة بحيث زاد فيها ما يجعلها تكشف النص وتعرى أحداثه، كما في مقدمة السياب: «كنت أهصر سعف النخل، حذارِ أن يمنع عيني من رؤيتها إذا أقبلت، أما الآن فليتهدل السعف، فهي لن تأتي» أن نقص منها ما يربك وظيفتها؛ فإنها قد تفسد النص، أو على الأقل تصبح عديمة الفائدة في نظر المتلقي.

٥- المقدمة/ التضمين:

وهو أن تكون مقدمة القصيدة مأخوذة من كلام مفكر أو أديب أو من التراث، والذي أراه أن هذا النوع مُتَماهٍ - أحياناً - مع المقدمة/ الرمز؛ لأن التضمين في الغالب يكون من التراث - أي تراث- والرمز إسقاط لشيء تراثي على الواقع المعالج ومن أمثلة هذا النوع من المقدمات: «لقد دقت ساعة العمل الثوري (جمال عبد الناصر) في قصيدة (ثلاث أغنيات عربية) لنازك الملائكة، ومثل: يا قوم مالي ولسعيد بن جبير؟ كلما عزمت على النوم أخذ بخناقي (الحجاج) في قصيدة (عودة الضحية)[١٩]، لبلند الحيدري، ولا ثقافة بغير حب. إن الذي يحبني يخلقني(أراغون) لنزار قباني، ويلاحظ أن هذه المقدمة إحدى أربع مقدمات لديوانه (سيبقى الحب سيدي)، كما أن هذا النوع من المقدمات يدخل من زاوية ضيقة في المقدمة/ المدخل، فالشاعر أمل دنقل وضع مقدمة



لقصيدته الذائعة (لا تصالح)، وهذه القصيدة مضمنة من قصة حرب البسوس المعروفة»، والمقدمة هي: « .. فنظر كليب حواليه وتحسر، وذرف دمعة وتعبر، ورأى عبداً واقفاً فقال له: أريد منك يا عبد الخير قبل أن تسلبني أن تسحبني إلى هذه البلاطة القريبة من هذا الغدير؛ لأكتب وصيتي إلى أخي الأمير الزير سالم فأوصيه بأولادي وفلذة كبدي، فسحبه العبد إلى قرب البلاطة، والرمح غارس في ظهره، والدم يقطر من جنبه.. فغمس كليب إصبعه في الدم وخط على البلاطة وأنشأ يقول..»[٢٠]، ثم بدأ أمل دنقل قصيدته، والقارئ يعرف أن الكلام هذا مضمن من القصة، ولكنه في الوقت ذاته مدخل مذهل للنص، وزاد جماله أيضاً أن القصيدة جاءت وكأنها امتدادٌ لهذا الجزء من القصة، فبعد قوله:(وأنشأ يقول) جاءت القصيدة.

«لا تصالح
.. ولو منحوك الذهب
أترى حين أفقأ عينيك
ثم أثبت جوهرتين مكانهما
هل ترى..؟»

ويلاحظ أن بعض الشعراء يضمن مقدمته أقوالاً لفلاسفة غربيين مثل: «أن نبدأ، هذا كل ما هنالك» في قصيدة (البادئ)[٢١] لسركون بولص. وقد يكون التضمين لأبيات من الشعر قالها شاعر آخر، ويضمنها الشاعر مقدمة لقصيدته لتمثل مدخلاً، مثل:

«عيد بأية حال عدت يا عيد　　بما مضى أم لأمر فيك تجديد»

(المتنبي)

«أخي جاوز الظالمون المدى　　فحق الجهاد وحق الفدا»

(علي محمودطه)

في قصيدة (قبضة عيد)[٢٢] لسعد الحميدين.

٦- المقدمة/الإبداع:

يحاول بعض الشعراء أن يبدأوا قصائدهم بمقدمات من النثر الفني الراقي، وليست هذه المقدمة مدخلاً مهماً للقصيدة فأعدها من المقدمات/ المدخل، كما أنها ليست إيحاءً فأعتبرها من المقدمات/ الإيحاء، ولكن هذه المقدمات لها ارتباط بموضوع القصيدة من حيث إن كليهما يتناول موضوعاً واحداً، ولكن حذفها لا يجعل القصيدة أقل جمالاً كما يمكن أن تتعرض له القصيدة في حال حذُفت مقدمتها/ المدخل أو مقدمتها/ الإيحاء، ومن هذا النوع من المقدمات:» إلى كل وجهٍ تهلل ذات عهدٍ ببشرى مودة..

وإلى كل حب مطهر..تفتح في حضرة «وجدان» فأزهر

وإلى كل وجدان «ذهب العيد» بوجه حبه.. فأورق «بالذكرى»».

يعطرها كل حين برحيق افتتانه.. وبماء فتنتها في كل حين يتعطر.

في قصيدة (معايدة) لعبد الله الزيد، وقد لاحظتُ أن هذا النوع قليل، وقد عرفتُ من خلال احتكاكي بشعراء كثيرين أن أغلب الشعراء يستطيع الإبداع في الشعر أكثر من إبداعه في النثر، وسبب آخر أراه وهو أن الشاعر



يرى نفسه غير محتاج إلى الإبداع في النثر لأن الإبداع في الشعر أرقى، ولا يحتاج معه إلى تناول النثر.

٧- المقدمة/ الرمز:

أولى بعض الشعراء المعاصرين الرمز أهمية في الشعر، وقد بلغ من عنايتهم به أن جعلوا القصيدة كلها رمزية، بعد أن كانوا يقذفون الرمز فيها عبر مقطع صغير، حتى إن الرمز امتد إلى عنوان القصيدة، وتعداه إلى مقدمتها، وقد ذكرت في المقدمة/ التضمين أن التضمين غالباً يكون من التراثيات وكذلك الرمز، ولهذا فمقدمة بُلند الحيدري المأخوذة من قول الحجاج الثقفي تعتبر رمزاً استخدمه الشاعر ببراعة لنظام جائر، وكذلك مقدمته «صاح ليونتيوس وقد أخذته شهوة التمتع برؤية جثث القتلى صاح وهو يفتح عينيه بأصابعه: هلمي أيتها العيون الناعسة وتمتعي بهذا المنظر الشهي» في قصيدة (اعتذار) والقصيدة عن بغداد.

٨- المقدمة/ الإيحاء

يعمد الشاعر من خلال هذه المقدمة إلى أن يعطيك سبب كتابته القصيدة، ولكنه يوحي لك بذلك إيحاء ولا يصرح به كالذي مر في العنوان/ المناسبة، ولعلي من خلال المثال أستطيع أن أوضح، فمقدمة الشاعر عبد الله الزيد «إلى كل من أحس بمجانيته بين أهله وذويه وأطبقت الكآبة على منابت إبداعه» في قصيدته (لحظة أن يبدأ الزمن ارتحال من الداخل) تشي بالغربة الروحية.. غربة المبدع.. غربة (من أحس بمجانيته)



٩- المقدمة/ الشعر:

وواضح من عنوان هذا النوع أن المقدمة تكون أبياتاً للشاعر نفسه، مثل:

مر بالقرية أشباه	رجال، ورجال
أكلوا البيدر والبيدر	خمر وغلال
سخروا بالشعب لكن	بقي الشعب، و زالوا

في قصيدة (ريف وريفيون)[٢٣]: لحامد حسن.

ولكن إذا وضع الشاعر أبياتاً لغيره مقدمة لقصيدته فهذا تضمين كما أشرت إليه. ويكاد يكون هذا النوع من المقدمات أندرها.

حول المقدمات:

وجدت حين استقراء الدواوين بحثاً عن المقدمات أن هناك أنواعاً كثيرة للمقدمات، تندرج كلها - كما ظهرت لي - تحت هذه الأنواع التي ذكرتها، ولكن هناك نوعاً أغفلته، وهو المقدمة/ الشرح، مثل: «في هذه القصيدة التي تعبر عن الموت.. يفيد الشاعر من أسطورة تموز وما ترمز إليه من غلبة الجفاف.. » في قصيدة (بعد الجليد)[٢٤] لخليل حاوي وهي مقدمة يعمد فيها الشاعر إلى شرح شيء ما في قصيدته، كاسم موضع أو لفظة دارجة استخدمها أو أسطورة، والأولى أن يجعلها في الهامش وليس في المقدمة، ولكنني رأيتها عند بعض الشعراء بقلة، وربما كان من الصواب أن نقول: إن واضع المقدمة في قصيدة خليل حاوي هو الناشر وليس الشاعر نفسه، ولكن لأنني

رأيتها عند نازك الملائكة والشاعرة هي التي وضعتها، احتجت إلى أن أشير إلى ذلك.

ومما يلفت النظر عند استقراء المقدمات الشعرية أن أنواعها متداخلة في بعضها وقد أشرت إلى ذلك، فوجدت مثلاً أن الشاعر عبد الله الرشيد قد وضع مقدمة لقصيدته (صيحة)[٢٥] والمقدمة هي قول الله تعالى:﴿إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون﴾ وحرت: في أي الأنواع أضعها؟ لأنها تصلح في المقدمة/ التضمين؛ ولأنها ليست من كلام الشاعر، وإنما هي اقتباس من القرآن الكريم، وهي تصلح أيضاً في المقدمة/ المدخل؛ لأنها فاتحة للنص من حيث وحدة موضوعهما - الآية والقصيدة -

والمقدمات هذه - كما أسلفتُ - نمط جديد لم يكن متوافراً في الشعر القديم، إن لم يكن معدوماً، ولكن حداثة هذا الأسلوب في الشعر لا يعني أنه فن مطرد فهناك أنواع منه تستحق الوقوف والتأمل، وهناك أنواع أشرت إليها لا تعدو كونها إشارات عادية إلى مناسبةٍ أو صديق...، كما أن كونه نمطاً حديثاً لا يعني أن الشعراء مهتمون به مكثرون منه، فالأنواع الإبداعية منه وجدتها بقلة عند شعراء قليلين، ويظهر أن هذا النوع ليس مقصوداً بذاته.

الهوامش:

(١) ديوان:أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي ج١ ص ١٧.



(٢) ديوان: شاعر في نيويورك، نقله إلى العربية حسين عبد الزهرة مجيد.

(٣) باسم خضير المرعبي، ديوان كلمات ثم كلمات.

(٤) ديوان: معاناة شاعر، النادي الأدبي بالرياض.

(٥) ديوان: عناق الدموع والشموع.

(٦) ديوان: الألمعيات.

(٧) ديوان: يافدى ناظريك.

(٨) ديوان: حروف من لغة الشمس.

(٩) ديوان: من غربة الشكوى يسري كتاب الوجد يتلو سراج الروح.

(١٠) ديوان: خفقان العطر.

(١١) ديوان: هجير

(١٢) ديوان: انبسطت أكف الرفاق بقي الجمر في قبضتي أغني وحيداً.

(١٣) ديوان: حدائق الصوت.

(١٤) ديوان: ضياع، النادي الأدبي بالرياض.

(١٥) ديوان: نثيث السقاء.

(١٦) ديوان: رياح السنين.

(١٧) نازك الملائكة، المجموعة الكاملة ج٢ دار العودة.

(١٨) بدر شاكر السياب، المجموعة الكاملة دار العودة.

(١٩) بلند الحيدري، الأعمال الكاملة.

(٢٠) أمل دنقل، الأعمال الكاملة.

(٢١) ديوان: حامل الفانوس في ليل الذئاب.

(٢٢) ديوان: ضحاها الذي.

(٢٣) ديوان: أضاميم الأصيل.

(٢٤) الأعمال الكاملة.

(٢٥) ديوان: خاتمة البروق، النادي الأدبي بالرياض.



تألق الشعر.. في رهبة الظل

بقلم/
د. فوزي
خضـــر•

• كاتب مصري.

للأماكن أسرار.. تبوح بها لأبنائها، فتنطلق قرائح المبدعين منهم تعبّر عن تلك الأسرار بالتصريح حيناً وبالتلميح حيناً آخر. وأسرار الجمال في الجنوب تختلف عن أسرار الجمال في الشمال، لذلك يختلف إبداع الجنوب عن إبداع الشمال في تفصيلات دقيقة يدركها من عايش هذا وذاك.

وتبرز منطقة جازان - بالجنوب الغربي من المملكة العربية السعودية - بعطائها الأدبي الذي ينعكس عليه ما تتمتع به المنطقة من جوانب الجمال التي لا يسبر غورها إلا من عاش في رحابها، وما بين بحر جازان وجبال فيفا تمتد مساحة ساحرة من البلدان، لكل منها طعمه الخاص مثل أبي عريش وضمد وبيش وصبيا وغيرها، فنجد وسائل التقنية الحديثة في جازان، ونجد في بعض القرى أسواقاً بدائية تهز القلب هزاً بما فيها من روعة التلقائية ومن رُقيِّ التعاملات الإنسانية، وتبسط المزارع، وتسيل المياه في الوديان، وتسمق الأشجار المتنوعة، وتشمخ الجبال.. وتتنوع مظاهر الجمال، وتتضح - قبل كل هذا وبعده - الصفات الطيبة التي يتمتع بها أهل منطقة جازان، فتضعهم في مساحات إنسانية عاطرة.

جازان منطقة ولود، تجود بالمبدعين جيلاً بعد جيل:

وقد أنجبت عدداً من الأعلام الذين قدّموا إبداعاً



تألق الشعر.. في رهبة الظل

أدبياً فائقاً، وكانت أقلامهم تسيل نوراً، فسجّلوا أسماءهم في تاريخ الأدب في جزيرة العرب على مر العصور، وإن نظرة خاطفة إلى التاريخ الأدبي للمنطقة تقدّم لنا أعلاماً سجّلتهم المصادر العربية أمثال الشاعر التهامي (في القرن الخامس الهجري) وعمارة الحكمي (في القرن السادس الهجري) وابن سحبان وابن هتيمل الضمدي (في القرن السابع الهجري) وسالم بن محمد الجازاني (القرن العاشر الهجري/السابع عشر الميلادي)، وعبد القادر بن علي العواجي (الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي) ثم في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي/ ظهر الشيخ الأديب أحمد بن أحمد العواجي وغيرهم. وجدير بالذكر أن كثيراً من أهالي منطقة جازان كانوا يكتبون، منهم من كان يكتب تاريخ بلدته أو تاريخ المنطقة، ومنهم من كان يكتب شعراً، لذلك توجد ثروة من المخطوطات لم يخرج كثير منها إلى النور بعد.

اختلف الأمر في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي/ فقد صارت هناك بعض الأواصر التي تجمع بين أدباء المنطقة خاصة حينما انتشر التعليم، ثم حدثت نقلة كبرى مع افتتاح الأندية الأدبية بالمملكة ومن ضمنها نادي جازان الأدبي.

صار بالإمكان وجود تجمع أدبي حقيقي، وتحقّقت منهجية الرّصد لأدباء المنطقة، وتمّ تتويج ذلك بالندوات المقامة، وبمطبوعات النادي التي اتّسمت بالجدة والتنوّع،

وتعانق الإبداع والأبحاث في سلسلة من الإصدارات القيّمة. وأنجبت منطقة جازان عدداً من أعلام الأدب، نذكر منهم - على سبيل المثال - الباحث العلامة محمد بن أحمد العقيلي صاحب المعجم الجغرافي، وكتاب (تاريخ المخلاف السليماني) ذلك السِّفْر القيّم الذي يُعَدُّ مرجعاً فريداً لتاريخ جنوب الجزيرة العربية، وغير ذلك من الأبحاث الجادّة، ممّا جعله يستحق جائزة الدولة التقديرية، ومنهم محمد بن علي السنوسي الحاصل على ميدالية المتنبّي، وقد تُرجم بعض قصائده إلى اللغة الإيطالية. وتضئ أسماء أبناء المنطقة نجوماً في سماء الأدب أمثال علوي طه الصافي، وعلي النعمي، ومحمد زارع عقيل، وأحمد يحيى البهكلي، وحجاب الحازمي، والباحث الجاد عبد الرحمن الرفاعي، وأحمد عائل فقيه، وإبراهيم صعابي، والشريف غالب بن أحمد الأمير الذي لم ينل ما يستحقه من شهرة بصفته شاعراً بالرغم من روعة ما يكتبه... وغيرهم كثير.

ولم يزل نهر العطاء يجري، ولم تزل جازان تنجب من أبنائها المبدعين من يتألق شعرهم مما يدلّ على أنّ نبع المواهب لا زال دفّاقاً يسقي الأرواح بجمال الإبداع، ولعل في ديوان (رهبة الظل) دليلاً على هذا.

صدر ديوان رهبة الظل للشاعر الجازاني الأستاذ/ محمد إبراهيم يعقوب ضمن منشورات نادي جازان الأدبي عام ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، وهو الكتاب رقم ١١٨ في سلسلة إصدارات النادي. يضم الديوان بين دفتيه تسع

عشرة قصيدة، منها ست عشرة قصيدة تتبع الشكل البيتي وثلاث قصائد من شعر التفعيلة هي مناجاة (ص ٤٢) وتفتّق الحب خنجراً (ص ٦٣) والراكضون خلف الجراد (ص٧٨).

تألق الشعر.. في رهبة الظل

الملاحظة الأولى في ديوان رهبة الظل أن الشاعر يجيد التعبير عن تجربته من خلال الشكل البيتي، فلا يمثل الشكل عائقاً بالنسبة له، وهو امتداد الشعراء العظام الذين أوقفوا شعرهم على هذا الشكل أمثال الشاعر اليمني عبد الله البردّوني الذي يرثيه شاعرنا في قصيدة (الوجع النبيل) فيقول:

أعبد الله.. قد خلّفتَ ذكراً
وبعض الذكر فوق المستحيلِ

ثم يقول:

بردوني.. يا سفر القوافي
إلى حيث اشتهيت إلى الوصول
بردوني.. يا نغماً تداعى
إلى الآذان كالشكر الجزيل
بردوني.. يا أقصى نداءِ
من الأقصى إلى سمع الخليل

ثم يقول:

بردوني.. والأوجاع تترى
وأنت بقية الوجع النبيل
ويا صنعاء هل أحسست برداً
ومزّقت التصبر بالعويل؟



و أطفـــأت القـنـاديل الحــيـارى

وخـــبــــأت المنابـر في الذهــول

و أعلنت الحـــداد على ســمـــاء

هوت فــوق الخلود المســتطيـل[1]

والشاعر محمد إبراهيم يعقوب لا يقف وحده امتداداً لهؤلاء الشعراء إذ يوجد شعراء على امتداد الوطن العربي يلتزمون الشكل البيتي فيما يكتبون أمثال إسماعيل عقاب ود. فوزي أمين وأحمد شلبي وغيرهم، ولكل منهم شخصيته الفنية التي تختلف عن زملائه.

الملاحظة الثانية في ديوان "رهبة الظل" تتمثّل في التشكيل اللغوي لدى الشاعر محمد إبراهيم يعقوب، حيث يتكئ على استعمال بعض الظواهر البلاغية فتصير سمة لافتة في شعره، مثال ذلك استخدامه التكرار التوكيدي، وهو تكرار الكلمة أو العبارة للتقوية أو التوكيد[2] فيقول في قصيدة جلال المنى:

مـــاذا أحـــدّث عن عـــشـــقنا

وهـــذا هـــو المـــأزق.. المـــأزقُ[3]

كان باستطاعة الشاعر أن يأتي بصفة للمأزق، لكنه اختار التكرار لتأكيد معنى المأزق، فإن أية صفة لم يكن باستطاعتها التعبير عن المأزق بأبعاده الكاملة كما عبّر عنها التكرار.

وتكثر هذه الظاهرة في شعر محمد إبراهيم يعقوب فتصير سمة لافتة في التشكيل اللغوي في قصائده، فيقول:

هـزُمـتُ.. هـزمـت.. أزمـنـةً

وكـان الخـوف راياتـي[٤]

ويقول أيضاً:

وأهدابـاً قـرأتُ لـهـا

أحـبَّ أحـبَّ أبـيـاتـي [٥]

ويقول في قصيدة تطويح في فضاء الذاكرة:

مللت فـصـول فـرقـتـنا

مـلـلـت مـلامـح الـدرس [٦]

استخدم الشاعر ألفاظاً من بيئة واحدة، فالفصل يرتبط بالدرس، وهناك فصول العام (الربيع والصيف والخريف والشتاء) لكن الشاعر اختار الفصول الدراسية، لأن فصول العام تتقلب ما بين الحر والبرد والاعتدال، وهذا لا يتوافق مع الملل، وتكون فصول الدرس أكثر توافقاً خاصة أن ملامح الدرس ثابتة لا تتغير كما هو واضح من البيت.

ولا يكتفي الشاعر بتكرار اللفظ، وإنما يكرر العبارة أيضاً مثال ذلك قوله مكرراً لغة النخيل:

ومن لغـة النخـيل حـديث قلبٍ

فـإنَّ الحب في لغـة النخـيل[٧]

نلاحظ في هذا البيت - أيضاً - أن الشاعر استخدم كلمات من بيئة واحدة.. أو قرّب بينها بطريقة تلقائية، فهناك صلة وثيقة بين اللغة والحديث، وبذلك قرّب بين النخيل والقلب، حيث أضاف النخيل إلى اللغة وأضاف القلب إلى الحديث، ومن جانب آخر نلمس ذلك التقارب



بين الحب وحديث القلب. إن هذا التوافق في استخدام الكلمات يجعل للشعر وقعاً حسناً لدى المتلقي، فيتقبّله ويُعجب به؛ لأنّه لا يشعر بتنافر بين الألفاظ المستخدمة.

يستعين الشاعر محمد إبراهيم يعقوب بظواهر بلاغية أخرى تضيف كثيراً إلى قصائده.. فنجده يقول - على سبيل المثال - في قصيدة تفتّق الحب خنجراً:

ويعيد لي

نفس الكلام المستحيل

يشدني نحو الضفاف المفعمة.

فأعيره الأذن التي

كم أرهقت بالأمنيات المعدمة

وأجيل طرفي

في ملامحه التي

أمست لقلبي علقمة(٨)

استخدم الشاعر هنا ما يسمّى بالكفّ عن تكملة المعنى، ويتّضح ذلك في السطر الثالث حيث يقول:

يشدّني نحو الضفاف المفعمه

ولم يقل لنا المفعمة بماذا؟ وقد أحسن الشاعر حين كف عن تكملة المعنى، فمن الواضح أنها مفعمة بالأوهام التي قتلت الأمنيات وخلّفت المرار في المشاعر وهو ما تبوح به القصيدة.

وقد هداه صفاء سليقته وتوهّج موهبته إلى استخدام التصاعد اللغوي وهو من أدق جوانب لغة الشعر حيث يقول في قصيدة "رهبة الظلّ" التي عنون بها ديوانه:



وبين اقتطاف الصبر.. والصبر.. والجنى

مسيرة منبوذ تغشى بصائره[٩]

يتّضح التصاعد اللغوي معبّراً عن ثلاث مراحل، المرحلة الأولى تتمثّل في اقتطاف الصبر، والمرحلة الثانية تتمثل في الصبر نفسه، أما المرحلة الثالثة فتتمثل في الجنى. ونعلم جميعنا أن هناك فرقاً بين اقتطاف الشيء والشيء نفسه، لقد كان الشاعر في موقف اقتطاف الصبر، ثم دخل في حالة الصبر، واكتملت مسيرة ما زرعه بالجنى الذي هو آخر المراحل حيث ينال الإنسان نصيبه بعد الحصاد.. وهو - هنا - نصيب مر، لأنّه لم يحصد غير الصبر، وهذه المراحل التي قطعها بدءاً باقتطاف الصبر إلى الصبر وانتهاءً بالجني كانت عبر مسيرة إنسان يوغل في البعد لأنه منبوذ، وكلّما أوغل في المسير تزيد الأغشية على بصائره فلا يدرك شيئاً[١٠]. وقد تحقّق التوافق بين التصاعد اللغوي في الشطر الأول من البيت مع الدلالة في الشطر الثاني، فإنّ مراحل المعاناة المتصاعدة في الشطر الأول، تتوافق مع ما يعانيه المنبوذ من ابتعاد أو إبعاد يتزايد، وتتوافق أيضاً مع زيادة الأغشية على بصيرته واستمرار زيادتها الذي دل عليه استخدام الفعل في زمن المضارع، وتزيد المأساة أن بصيرته لا يغشيها مصدر خارجي وإنما هي التي تتغشى فتضع الأغشية على نفسها.

وهذا المعنى - الذي يدل على أن الإنسان يعذّب نفسه



في تجربة الشاعر، تكرر بصور مختلفة في أكثر من قصيدة حيث يتغافل الإنسان عن آلامه.. فيقول:

وتحتوي جراحنا حياءً

وأكبر الجراح في التعامي[11]

أو حيث يستمرئ الإنسان الذل، وبدلاً من أن يغمد سيفه في صدر الذل ليقتله والعناق..: يقول.

تركوا المروءة جانباً

وتربّصوا للذل

بل وثبوا عليه

وأغمدوا..

في صدره سيف العناق[12]

ويدرك الشاعر محمد إبراهيم يعقوب قدراته اللغوية، كما يدرك صلاحياته حين يكتب قصيدته، فنجده لا يهاب أن ينحت فعلاً جديداً من الجغرافيا.. فيقول.

أنا طفل خرافي

وتاريخ من الشمس

أجغرف وجه أيامي

وأجلو لوعة الخرس[13]

وهناك الكثير مما يمكن أن يقال عن اللغة في هذا الديوان.

أما الملاحظة الثالثة في ديوان "رهبة الظل" فتتمثل في تشكيل الصورة الفنية التي تعد من السمات الفارقة في الخطاب الشعري على اختلاف البلدان والعصور، فإنه (من أهم ما يميز الشعر في كل اللغات مادته



التصويرية)[١٤] ويرى داي لويس أن (الصورة هي الشئ الثابت في الشعر كله)[١٥] لأنها أكثر بقاء من عناصر الشعر الأخرى في حالة ترجمته أو شرحه، والصورة الفنية مظهر الخيال الذي هو أساس رئيس في جماليات القصيدة (فالشعر بلا خيال أو تصوير يصير ضرباً من التقرير الممل والسرد الجامد البارد)[١٦] وقد استطاع الشاعر محمد إبراهيم يعقوب أن يوجد الدفء في قصائد ديوانه "رهبة الظل" من خلال عدد من الصور الفنية اللافتة، مثال ذلك قوله:

ورحــــت.. وفــــي يـــدي وجـــعٌ
وبـين أصـــــــابـعـي رأســـي
أشــــد رحـــــال أوردتــــــي
وأصـحــو مـثـلمـا أمـسـي[١٧]

هذه صورة مفرداتها جميعها مادية: الرواح، اليد، الوجع، الأصابع، الرأس، الشد، الرحال، الأوردة، الصحو، الإمساء،لكن الشعر قد أوجد بينها علاقات غير مألوفة بواسطة الخيال، إن الشطر الأول يوهمنا بأنه لا خيال فيه حيث يقول:

ورحــــت.. وفــــي يـــدي وجـــعٌ

لكننا حين نقرأ الشطر الثاني:

وبـين أصـــــــابـعـي رأســـي

ندرك فوراً أن ذلك الوجع الذي يشعر به في يده ليس نابعاً من إجهاد اليد، وإنما هو انتقال من رأسه إلى يده، فالوجع موجود في الرأس أساساً، وحين أحاطت به



أصابعه انتقل الوجع إليها، ثم انتقل منها إلى يده، فهو وجع كبير تنتقل عدواه إلى كل من يلمس ذلك الرأس الذي أتعبه الحرمان وضياع الآمال، لذلك لا يجد مهرباً غير الارتحال إلى حالة أخرى حتى يتخلص من هذا الوجع، فيشد الرحال.. ولكن أي رحال؟؟.. إنه يشد رحال أوردته، فهو يرتحل عبر دمائه هو، فالسفر ليس خارجياً عبر الأماكن لكنه سفر داخلي في عروقه، فيكون منطقياً أن يجيء الشطر التالي مؤكداً أن الحالة كما هي:

وأصحو مثلما أمسي

ولفتنا الفعل (أصحو) وكان باستطاعة الشاعر أن يقول:

وأصبح مثلما أمسي

لكي يكون هناك تضاد بين أصبح.. وأمسى، ولن يختل الوزن، لكن الشاعر اختار الفعل (أصحو). لو قال الشاعر (أصبح.. وأمسى) لتحققّ التضاد الزماني فقط، أما قوله (أصحو.. وأمسي) فأعطى اتساعاً ورحابة للمعنى والدلالة، لأن الفعل صحا بمعنى استيقظ من نومه، والاستيقاظ يحمل معنى الانتباه، فهو حين شد رحال أوردته انتبه لما يجري من حوله، وما يحدث في داخله، وصحا بمعنى أفاق، وصحا القلب أي تيقظ من هوى أو غفلة، وصحت السماء: تكشفت سحبها، وصحا اليوم أي وضحت شمسه وقل برده[١٨] فالفعل "صحا" لم تقتصر دلالته على الاستيقاظ صباحاً من النوم، وإنما رسم صورة الإفاقة العقلية والانتباه وصفاء الجو المحيط



بالشاعر، لكن ذلك كله لم يخفف من الوجع الذي يعاني منه رأسه، لأنه يصحو مثلما يمسي، يقاسي الآلام والحرمان، وبذلك رسم الشاعر صورة عاشق لا يجد مهربا مما يؤلمه في حبه.

ويقول في موضع آخر:

ملامح الريح في عينيكَ ترتسمُ

وأكثر العمر - إن أبصرتهُ - حلُمُ[١٩]

ترتبط الرياح بالغيث والرخاء، أما الريح فهي تُنتج الدمار، ولنا أن نتصوّر ملامح تلك الريح العاتية التي تثير الزوابع وتطيح بالأشجار وتهدم الديار، والملامح تُنسب إلى الوجه فهي (مابدا من محاسن الوجه أو مساوئه)[٢٠] لكن الشاعر نسبها إلى الريح، فحوّلها بذلك إلى كائن له وجه، وبالتالي له جسد، وله صفات كائن حي فيه عداء الريح وقسوتها، وينبئنا الشاعر أن تلك الملامح ترتسم في عينيه - أن يوجه الخطاب إلى شخصه هو - فيرى كل ما في الحياة من خلال ملامح هذه الريح المعادية المدمرة، وما دام هذا هو الواقع فإنَّ أكثر العمر لم يكن غير أحلام لا تتحقق.. يقول:

وأكثر العمر - إن أبصرته - حلم

وقد أحسن الشاعر في استخدام الجملة الاعتراضية (إن أبصرته) فإن ملامح الريح التي ترتسم في عينيه تغشيهما، فتحول دون رؤيته العمر - رؤية حقيقية، ولكنه إن أبصر ذلك العمر فسوف يجد أن أكثره كان مجرد أحلام.



وتتعدّد الصور في الديوان كقوله.

ألا تعلمين.

لماذا تذوب النجوم.

وتغضي السماء حياءً

وينأى القمر؟؟(٢١).

ومثل قوله أيضاً:

يذرع الليل انعتاقاً من صداها

حيث يشقى بين أصداء ارتيابهْ

ثم يصغي للمسافات الحيارى

ساهماً عن كل آتٍ.. عن ذهابه(٢٢)

وأيضاً قوله:

عبثاً يصب الشاي

في كأس الوعود المبهمة

ويسائل الجرح المرير

ويستدير

مضرجاً بالأوسمة(٢٣)

وغير ذلك من الصور الفنية التي تمتاز بالوضوح وقرب التناول مما يعين المتلقي على التواصل معها بيسر.

تتبقى الملاحظة الرابعة في ديوان "رهبة الظل" وهي خاصة بالتشكيل الموسيقي، ومن الواضح ميل الشاعر إلى الشكل البيتي إذ لم يكتب على شعر التفعيلة غير ثلاث قصائد من تسع عشرة قصيدة. وإذا أعطينا القصيدة الأولى رقم (١) ومضينا في التسلسل حتى القصيدة

الأخيرة رقم (١٩) لنرصد البحور التي كتب عليها الشاعر قصائده فسنجد الآتي:

١- الكامل التام - متفاعلن ثلاث مرات في كل شطر.

٢- الرجز التام - مستفعلن ثلاث مرات في كل شطر في الأصل، لكن الشاعر استخدم بعض الزحافات كما سنبينه لاحقاً.

٣- الكامل التام.

٤- المتقارب التام - فعولن أربع مرات في كل شطر.

٥- مجزوء الكامل - متفاعلن أربع مرات في البيت، وجعل الرابعة متفاعلاتن وقد نثر الشاعر كلماتها مثل شكل شعر التفعيلة.

٦- مجزوء الخفيف - فاعلاتن مستفعلن، والتزم الشاعر زحاف الخبن في مستفعلن فجاءت جميعها متفعلن.

٧- مجزوء الكامل.

٨- الوافر التام - مفاعلتن مفاعلتن فعولن في كل شطر.

٩- المتقارب - فعولن (شعر تفعيلة).

١٠- البسيط - مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن في كل شطر.

١١- الرمل - فاعلاتن ثلاث مرات في كل شطر.

١٢- مجزوء الوافر - مفاعلتن مفاعلتن في كل شطر.

١٣- البسيط.

١٤- الكامل - (شعر تفعيلة)

١٥- الطويل - فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن في كل شطر.



١٦- مجزوء الوافر.

١٧- الكامل - (شعر تفعيلة)

١٨- مجزوء الخفيف - استخدم فيه أيضاً (متفعلن) مثل القصيدة رقم ٦.

١٩- الكامل التام.

نلاحظ مما فات أن الشاعر استخدم ثمانية بحور، وجاء نصيب كل منها من قصائد الديوان كالتالي.

١- الكامل ٧ قصائد -منها قصيدتان على مجزوء البحر، وقصيدتان من شعر التفعيلة.

٢- الوافر ٣ قصائد - منها قصيدتان على مجزوء البحر

٣- المتقارب ٢ قصيدتان - منهما واحدة من شعر التفعيلة.

٤- الخفيف ٢ قصيدتان على مجزوء البحر.

٥- البسيط ٢ قصيدتان.

٦- الطويل ١ قصيدة واحدة.

٧- الرمل ١ قصيدة واحدة

٨- الرجز ١ قصيدة واحدة.

نخلص مما فات إلى أن موسيقا البحر الكامل هي الأكثر قرباً إلى نفس الشاعر إذ كتب عليها أكثر من ثلث قصائد الديوان، واستخدمها في ثلاث صور تحدّدت في البحر التام وفي مجزوئه، وفي التفعيلة المفردة فيما كتبه في شكل شعر التفعيلة، ويتّضح التنّوع الموسيقي في بقية قصائد الديوان.



ونلاحظ أن الشاعر استخدم بحر الرجز في قصيدة واحدة استهلّها قائلاً:

أعود كابتسامة الغمام

وشهوة الرمال في عظامي

وأصطفى هناك من جنوني

غواية تليق بالغرام(٢٤)

وأصل تفعيلات البحر هي مستفعلن ثلاث مرات في كل شطر، فأدخل الشاعر زحاف الخبن على تفعيلتيْ الحشو، فصارت متفعلن- والتزم هذا في قصيدته إلى نهايتها، ثم جاء إلى تفعيلة العروض، وهي التفعيلة الثالثة في الشطر الأول فأدخل عليها زحاف الخبن (وهو حذف الحرف الثاني الساكن من التفعيلة) فصارت: متفعلن.

مستفعلن – ٥ – ٥– ٥ متفعلن– ٥ – ٥

ثم أدخل عليها زحاف العقل (وهو حذف الحرف الخامس المتحرك) فصارت مُتَفْعِنْ. وهي تساوي فعولن..

متفعلن –– ٥ –– ٥ متفعن –– ٥ – ٥= فعولن –– ٥ –٥

وفعل مثل ذلك مع تفعيلة الضرب (وهي آخر تفعيلة في البيت) فصارت تفعيلات البحر هكذا، متفعلن متفعلن فعولن متفعلن متفعلن فعولن

ولم يكن الشاعر ملزماً بالتزام زحاف الخبن في تفعيلات الحشو، كان مباحاً له أن يستخدم تفعيلة مستفعلن بعدة صور مثل: مستفعلن، متفعلن، مستعلن، متعلن. لكن صفاء إحساسه الموسيقي جعله يحمل نفسه التزاماً ليس مطالباً به، وقد قال أرسطو:(يولد الشاعر



ولديه إحساس بالنغم) لذلك ليس بمستغرب أن نجد الشاعر محمد إبراهيم يعقوب يتفنّن في موسيقا قصائده. ولا يفوتنا أن نشير إلى براعته في استخدام القوافي، بل وفي استخدام موسيقا الحروف حيث يكرّر حرفاً بعينه في البيت فيعطي نوعاً من النغم.. مثل استخدامه حرف الذال خمس مرات في قوله:

هل تدركين إذا ما ذبت في قلمي

كم ذا ألوذ.. وكم ذا عنك افترق(٢٥)

واستخدامه حرف السين أربع مرات في قوله:

وتوسدى صبحاً تموسق بالندى

واستبشري عند المساء بقربهِ(٢٦)

ويحفل الديوان بكثير من مظاهر البراعة في استخدام الموسيقا لكنيّ أريد أن يراجع الشاعر كلمة (رحم) في صفحة ٨١ حتى يستقيم الوزن.

وبعد.. فإن ديوان (رهبة الظل) إضافة تُحسب لنادي جازان الأدبي، والشاعر محمد إبراهيم يعقوب يمتلك الموهبة التي وضعته على طريق الشعر، وهو قادر- بإذن الله - على السير في عالم الإبداع مستكشفاً جوانبه الرحبة، ولا يتمّ ذلك إلا بالجهد والمثابرة والبناء الثقافي المتين، وما قدمه الشاعر من تجربة ناضجة في ديوانه الأول يشير إلى استعداده الطيب وثبات خطواته على الدرب الصعب ونأمل أن تكون دواوينه القادمة إضافات تضيء مساحات جديدة من تجربته الشعرية تضاف إلى الروائع من أدبنا العربي المعاصر.

الهوامش:

١- رهبة الظل - محمد إبراهيم يعقوب - نادي جازان الأدبي - السعودية - ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م ص٣٨ وما بعدها.

٢- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، بيروت، ط ١٩٨٣م، ص, ٢٢٢

٣- رهبة الظل - ص٢٠

٤- السابق - ص٥٦

٥- السابق - ص٥٨

٦- السابق - ص٧٤

٧- السابق - ص٣٧

٨- السابق - ص٦٣،٦٤

٩- السابق - ص٧١

١٠- البصيرة: قوة الإدراك والفطنة. والعلم والخبرة والحجة الجمع: بصائر. (المعجم الوجيز - مجمع اللغة العربية - القاهرة - ط١ - ١٩٨٠ - ص٥٣)

١١ -رهبة الظل - ص١٢

١٢- السابق - ص٨١

١٣- السابق - ص٧٥

١٤- دراسات في الشعر العربي المعاصر - د.شوقي ضيف - دار المعارف - مصر - د.ت. ص, ٢٢٩

١٥- اللغة الفنية - مجموعة من الباحثين - ترجمة وتقديم د.محمد حسن عبد الله -دار المعارف - مصر ١٩٨٥ - ص, ٤٦

١٦- ابن زهر الحفيد وشاح الأندلس - د.فوزي سعد عيسى - منشأة المعارف - ١٩٨٣ - ص٨٩

١٧- رهبة الظل - ص٧٥

١٨- المعجم الوجيز - ص٣٦٠

١٩- رهبة الظل - ص٦٠

٢٠- المعجم الوجيز - ص٥٦٤

٢١- رهبة الظل - ص٤٣

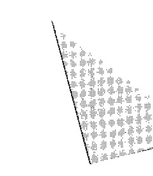
٢٢- السابق - ص٥٣

٢٣- السابق - ص٦٣

٢٤- السابق - صص١٠

٢٥- السابق - ص٨٧

٢٦- السابق - ص٦



الجانب الآخر في سيرة (عبد الرحمن بدوي)

بقلم/
د. حلمي محمد القاعود*

(١)

سيرة حياة " عبد الرحمن بدوي" صاخبة وحافلة، شغلت الناس عند صدورها في العام ٢٠٠١م وتوقف الكثيرون عندما يخصهم وهو في الجانب السياسي الذي يقوم على التحيزات والخصومات، وساعد على ذلك أن " عبد الرحمن بدوي" أطلق لسانه في الكثيرين من الزعماء والسياسيين وأساتذة الجامعات - على عهد تلمذته - أو زملائه ونظرائه، فكان ذلك مجالاً خصباً للإثارة الصحفية والتعليقات الثقافية، ولكن القوم أغفلوا جانباً مهماً من جوانب السيرة البدوية، وهو الجانب العلمي الثقافي أو المعرفي عموماً، إنه الجانب الأساس الذي يمثل معظم ما كتبه " عبد الرحمن بدوي" في سيرته وهو الأكثر فائدة للقراء والمثقفين، لأنه يقدم لهم ذخيرة حية من المعلومات، بدءاً من تاريخ قريته والمنطقة التي ولد فيها وتربى، إلى أحدث المذاهب الأدبية والفنية في أوربا وأمريكا.

تتكون سيرة حياة " عبد الرحمن بدوي" من جزءين كبيرين يقع كل منهما في نحو أربعمائة صفحة، ويتناول في الجزء الأول حياته منذ مولده في العقد الثاني من القرن العشرين حتى هجرته من مصر في ١٩ من فبراير ١٩٦٧، ويبدأ الجزء الثاني من هذا التاريخ حتى عام ١٩٨٨، حيث لم يفصل شيئاً عن حياته بعد هذا العام.

وسيرة عبد الرحمن بدوي لم تركز في مجملها على

• كاتب مصري معروف.



الخصومات الدقيقة، بقدر ما كانت سيرة عالم عرفه صاحبه واحتك به أوزاره واستفاد منه معرفة أو ثقافة أو مالا، ولذا يمكن القول: إنها سيرة ذاتية تاريخية جغرافية اجتماعية اقتصادية ثقافية، ويغلب على أسلوبها الطابع العلمي الأكاديمي، واللغة التقريرية (الجافة في بعض الأحيان)، وإن كان يضمِّنها أحياناً بعض أبيات الشعر لنفسه أو لغيره، كما كان طبيعيا أن يغلب على السيرة الاهتمام بالفلسفة بحكم أن صاحبها ينتمي إلى حقل الدراسات الفلسفية معلماً وباحثاً.. ولم يكن غريباً أن يفتتح السيرة بعبارة تمت بصلة إلى الفلسفة ومصطلحاتها حين يقول:" بالصدفة أتيت إلى هذا العالم، وبالصدفة سأغادر هذا العالم " (١/٥) ويفسر هذه (الصدفة) - التي تناقض مفهوم القدرية في المفهوم الإسلامي ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ (القمر:٤٩) بنجاة والده من حادثة قتل دبرها أحد خصوم الأسرة، ولكن الوالد الذي نجا من الاغتيال رزق بمولوده" عبد الرحمن في ١٩١٧/٢/٤م بقرية شرباص مركز فارسكور.

وأسرة "عبد الرحمن بدوي" غنية، وكان والده عمدة شرباص، ينتمي إلى حزب الأحرار الدستوريين خصوم الوفد والمنشقين عنه، وولده عبد الرحمن هو الثامن بين إخوته لأمه، والخامس عشر بين أبناء أبيه، الذين يبلغون جميعاً "٢١" ولداً وبنتاً. وكان لشرباص ومناظرها الطبيعية وجمالها في الصيف والشتاء أثر كبير في نفس عبد الرحمن، الذي أصبح بفضل اتساع الفضاء في الريف يميل إلى الوحدة والعزلة ويتشرب وحدة الوجود،

الجانب الآخر في سيرة (عبد الرحمن بدوي)

ويتنفس أنسام المروج الكلية السارية في الطبيعة، ويحكي عبد الرحمن عن القرية ولهجتها والكلمات المتداولة والمقتبسة عن الإيطالية وغيرها، ويشيد بأعيانها الذين كانوا دعائم المجتمع الريفي في القرن الممتد من ١٨٥٠ إلى ١٩٥٠م. كما يتحدث عن عاداتها وتقاليدها وتكوينها والوافدين عليها والمداحين والموادية وشعراء الربابة والآلات الموسيقية وانقراض الكثير من مفردات الماضي.

كانت طفولته في الحقل والزراعة، ولشدة ارتباطه بالزراعة فهو يرى أن الإصلاح الزراعي كان مصدر البلاء والعواقب الوخيمة التي حلت بالأرض الزراعية " وأنى لمن لا يعرف غير الإسفلت والأبخرة الفاسدة أن يدرك نبالة الأرض الزراعية وقداسة هواء الحقول! إنه كجزار المواشي الذي يتولى علاج جسم إنساني. إن الأرض الزراعية بالنسبة إلى أصحابها الحقيقيين روح وحياة، وليست مجرد سلعة للاتجار، أو رأس مال للاستغلال"(١/٢٣).. ومن ناحية أخرى، فإن الرجل يرى في الفلاح المصري " ماكراً خبيثاً داهية " أو هو " مزاج من طيب النفس والخبيث، من الشهامة والخبث، من البساطة والتواء الحيلة"،" إن الفلاح المصري أمكر من أي مالك، وأنا أتحدى أي إنسان أن يدلني على مالك لم يغلبه الفلاح الذي يعمل في أرضه " (١/٢٤).

ويتحدث بدوي عن تعليمه في الابتدائي ويحمل على مخربي التعليم المصري الراهن الذين يسميهم "البيداجوجيا" ويرى أن الكارثة التي جلبوها على التعليم في مصر أفظع من كل كارثة أخرى أصابت البلاد، لأنها

دمرت خير ما فيها - يعني عقول أبنائها - وينحاز إلى من يرى ضرورة تعلم لغة حديثة أجنبية في الابتدائي لإصلاح التعليم. لقد كان ترتيبه الرابع والخمسين بين الناجحين في الابتدائية على مستوى الدولة، وكان عدد طلابها مائة ألف تقريباً (الابتدائية = الإعدادية)، ثم التحق بالمدرسة السعيدية الثانوية، وفيها قرأ الأدب العربي والأدب الأجنبي وتفوق في تعلم بعض اللغات. وفضل الفلسفة على الأدب، ثم بدأ اهتمامه بالسياسة في الخامسة عشرة من عمره، مع الأحرار الدستوريين وفقا لمصلحة الأسرة، وأعجب بمصطفى كامل ووطنيته وقوله:" إني أريد أن أوقظ في مصر الهرمة مصر الفتاة" ولعل في هذا ما دفع به إلى الالتحاق فيما بعد، بحزب مصر الفتاة الذي أسسه " أحمد حسين" والكتابة في صحفه.

دخل "عبد الرحمن بدوي" كلية الآداب، على غير رغبة والديه، اللذين كانا يحبذان " الحقوق" التي كانت محط أنظار الأغنياء آنئذ، ويحدثنا" عبد الرحمن بدوي" عن أساتذته العرب والأجانب في الفلسفة، فينتقد بعضهم ويشيد بالبعض الآخر، ويبدو " طه حسين، " ومصطفى عبد الرازق" قريبين إلى نفسه، فيخبرنا عن علاقته العميقة بهما، ويشيد بالأخير وأخلاقه العالية.

(٢)

قضى "عبدالرحمن بدوي" أربعة أشهر - إبان صيف ١٩٣٧ - في أوربا، وهذه أول زيارة يقوم بها إلى الخارج فيزور ألمانيا وإيطاليا، بفضل طه حسين " عميد الآداب حينئذ، "وطباول كرادس" أستاذ اللغات السامية فيها،



ويكشف لنا عن حرصه البالغ في زيارته إلى أوربا (ألمانيا وإيطاليا) على حضور المحاضرات جميعها في تخصصه أو في غيره، ويشير إلى أهمية البعثات الصيفية للطلاب في إتقان اللغات الأجنبية، ويستطرد كثيراً إلى ذكر نقاط عديدة بالتفصيل حول هذه الزيارة تتناول التاريخ والجغرافيا والآداب القديمة والطرز المعمارية والآثار والميادين والشوارع والفنادق والمؤسسات والمتاحف والإدارات، ويعرّف بأصدقائه وزملائه ومن تعرف عليهم وتعرفوا به في هذه الزيارة.

وكان صعود النازية في هذه الفترة مناسبة جيدة كي يتحدث عنها وعن هتلر وعن اليهود، ويصحح مقولات خاطئة شائعة، ويستخدم الإحصائيات والمستندات تدليلاً على صحة ما يقول.

ويرى أن النازية تجسيد لشكوى الشعب الألماني من تغلغل نفوذ اليهود في ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى، في السياسة والاقتصاد والفنون، وغيرها من مرافق الحياة، واستغلال اليهود للمصاعب الهائلة التي حلت بألمانيا غداة هزيمتها، وسيطرتهم على مقاليد الحكم ومفاتيح الاقتصاد ووسائل الدعاية والإعلام في تلك الفترة (١٩٢٠-١٩٣٣) على النحو الذي فصلته دائرة المعارف اليهودية (ج٧عمود ٤٨٦-٤٨٧) على نحو يكاد يجعل ألمانيا مستعمرة يهودية وبؤرة لكل المؤسسات اليهودية والصهيونية في العالم، ومكان إعداد للحركات الصهيونية واليهودية العالمية، ومع ذلك كان عدد اليهود في ألمانيا سنة ١٩٢٥م (٥٦٤,٠٠٠) وكان عددهم في



يونيو ١٩٣٣م (٥٣٠,٠٠٠) وصار عددهم في ١٩٣٩م (٢٣٤,٠٠٠) هذا في الوقت الذي كان فيه سكان ألمانيا في عام ١٩٢٠ ستين مليوناً وفي سنة ١٩٣٥ستة وستين مليوناً.

ويتساءل: بأي حق، وفي أي شرع يجوز أن يتحكم نصف مليون يهودي في أكثر من ستين مليونا من الألمان؟! إن أبسط قواعد العدالة والواجب كانت تقضي على كل ألماني حر الضمير أن يتخلص من سلطان هذا النصف مليون. وهذا ما فعلته النازية تدريجياً وبالطرق القانونية السلمية فتركت لهم الحرية التامة في مغادرة البلاد مع ممتلكاتهم، ولأنهم كانوا يحملون جوازات سفر ألمانية، فقد فتحت لهم الأبواب ودخلوا معظم الدول الأوربية بدون تأشيرة، ولم يمنع النازيون أي يهودي من الرحيل خارج البلاد طوال حكم النازية.

ويشير إلى أن "قوانين نورمبرج" التي نظمت شئون اليهود في ألمانيا، وصدرت في ١٥ سبتمبر ١٩٣٥م، لم يكن فيها أي شذوذ يجعل اليهود في سائر أنحاء العالم يقيمون الدنيا ولا يقعدونها متهمين واضعيها بالفظائع والمنكرات والجرائم ضد الجنس البشري، فقد كانت هذه القوانين تحدد من هو اليهودي، وتمنع الزواج بين اليهودي والمسيحي، وهو أمر تفرضه الكنيسة الكاثوليكية، والاتصال الجنسي بين اليهود وغيرهم يعد تدنيساً للجنس، ويحتمل العقاب، كما منعت هذه القوانين استخدام اليهود لخادمات ألمانيات غير يهوديات.

ويخلص "عبد الرحمن بدوي" إلى أن اليهود وما جرى

لهم بحكم ضرورات الحرب أمر طبيعي، ولكن اليهود بالغوا فيه إلى درجة ممقوتة، واستغلوا هزيمة الألمان لتلفيق ما يريدون.

لقد كانت رحلة أوربا الأولى بالنسبة لعبد الرحمن بدوي مثمرة ومفيدة للغاية فقد اتصل بالثقافة الألمانية والطبيعة الألمانية والروح الألمانية والسياسة الألمانية اتصالاً وثيقاً. وتبلورت أفكاره الأساسية حول الوطنية النابعة من صميم الشعور بمصر ومكانتها في الماضي وما يأمله في المستقبل القريب من استعادة لهذه المكانة.. واستلهام النموذج الألماني ليس محرجاً له، لأن ألمانيا لم تستعمر بلداً عربياً أو إسلامياً! كما اتصل بالثقافة الإيطالية واطلع على روائع فنونها. وقد أسهب في الحديث عن إيطاليا ومدنها وتراثها وآثارها وكنائسها وأديرتها ورهبانها ومكتباتها ومصوريها وموسيقاها، مما أنعش عقله وفؤاده..

وبعد عودته إلى مصر من رحلته الأوربية، حصل على درجة الليسانس، وصار معيداً في كلية الآداب، ولكنه حُرم من البعثة إلى أوربا كما كان يأمل، بيد أنه تحدى هذا الحرمان بالسفر كل صيف إلى هناك، لينجز أبحاثاً علمية عجز عن إنجازها من أوفدوا رسمياً من قسم الفلسفة إلى أوربا، كما يقول.

(٣)

ويبدوا أن حرمانه من البعثة إلى أوربة، قد أورث في نفسه ألماً عظيماً، وجعل علاقته بالجامعة غير ودية، فكثيراً ما يحمل على الأساتذة والزملاء وينال من



الكثيرين، سواء كانوا معه في الكلية أو خارجها، لدرجة أن بعض الأساتذة الذين كان يتعاطف معهم مثل " طه حسين" لم ينج من انتقاده، فهو مثلاً يشير إلى هجوم الطلاب على " طه حسين" في مكتبه بكلية الآداب، وتكسيرهم للأثاث، ولولا هروبه للحقه أذى عظيم، فهو يرى أن للطلاب أسباباً وجيهة للهجوم عليه، فهو الذي حرض الطلاب في كلية الآداب على الذهاب إلى كلية الحقوق والاعتداء على طلبتها، ويرى أن طه حسين، وهو عميد كلية الآداب، كان عليه أن يكون محايداً، وأن يلجأ إلى إدارة الجامعة حين استغاث به طلاب الآداب، ثم يلومه لأنه أغرق في الحزبية السياسية الوفدية، ويشير إلى أنه رأى طه حسين - كان يبلغ رجال البوليس عن زعماء الطلبة المعارضين في كلية الآداب، مستعيناً في ذلك ببعض الجواسيس المتزلفين إليه من الطلاب، مما أدى إلى اعتقال زعماء الطلبة، مما يثير حفيظة زملائهم فيهجمون بالضرب الموجع على المشتبه فيهم من هؤلاء الجواسيس (١/١٢٤).

لقد انخرط "عبد الرحمن بدوي" في تلك المرحلة داخل الصفوف الحزبية السياسية، وكان له موقف من القوى الموجودة في الساحة السياسية، وهو موقف في معظمه يميل إلى الرفض والهجاء باستثناء مصر الفتاة التي انضم إليها.. لكن اهتمامه العلمي انصب في هذه الفترة على إنجاز رسالة الماجستير، وإعادة دروس الأستاذ " لالاند" على الطلاب، مع وضع خطة لإنتاجه العلمي في المستقبل، لها ثلاثة اتجاهات.

الجانب الآخر في سيرة (عبدالرحمن بدوي)

الأول: مؤلفات مبتكرة.

الثاني: عرض الفكر الأوربي على القارئ العربي.

الثالث: دراسة الفلسفة الإسلامية.

ويفخر أنه أنجز هذه الخطة، بعد أن تجاوزت كتبه المائة والعشرين، إنجازاً كاملاً.

ولا شك أن هذه النزعة الذاتية المتضخمة كانت وليدة معاناة داخل القسم الذي كان يعمل فيه بالجامعة، حيث كان محل غيرة من كثيرين أشار إليهم، وهجاهم بأقذع الألفاظ وجعل لنفسه قاعدة تنطلق من هذا الواقع الجامعي، تقول:" امتلئ ثقة بنفسك، وازدراءً للحاقدين"(١/١٥٧).

لقد سافر إلى لبنان كي يحاضر هناك، وأتاح له السفر أن يقدم صورة "بانورامية" عن الواقع الديموجرافي والسياسي والاجتماعي في لبنان، ويفسر طبيعة لبنان وأحواله بأنه دولة مفتعلة تماماً أنشأها الانتداب الفرنسي عام ١٩٢٠: أقلية تتحكم في أغلبية، وتوتر ديني شديد بين طوائفها، واستعداء لدول أجنبية كيما تتدخل وتسند فريقاً ضد فريق ونفاق ظاهري يستر وراءه كراهية قاتلة، وعصبيات أسرية تخوض فيما بينها معارك طاحنة، واتجار بالسياسة، سلعته التأييد لمن يدفع أكثر من جانب حكومات أجنبية.. ويتساءل: كيف يمكن لكيان... مفتعل كهذا أن يصبح دولة بالمفهوم السياسي الصحيح؟! (١/١٧٤)

حصل"عبد الرحمن بدوي" على الدكتوراه برسالته " الزمان الوجودي" حيث يفسر الوجود بفكرة الزمان، وما



يترتب على ذلك من إقامة مذهب فلسفي كامل - كما يتصور - في علم الوجود والمنطق والأخلاق، ومن ثم يشبه نفسه " بهايدجر" صاحب الوجود والزمان، ويغتنم الفرصة ليشير إلى ضحالة فهم الناس للوجودية وربطها " بسارتر" مع أن الأخير - كما يرى بدوي - علاقته بها هشة وبعيد عن وجودية " هايدجر" وما لديه مجرد خليط من التحليلات النفسية، وبالمناسبة فإنه يعلن عن عدم تقديره لسارتر من الناحية الفلسفية، إذ هو - من وجهة نظره - مجرد أديب وباحث نفسي يستند إلى منهج الظاهريات، ولا يعده أبداً فيلسوفاً وجودياً أسهم بأي إسهام يذكر في تكوين المذهب الوجودي (١/١٨٣). كما يشير بدوي إلى جهل بعض الصحفيين المصرين وصفاقتهم وادعائهم (من هم؟) حين رأوا تحرر بعض الفتيات والفتيان من القيود الاجتماعية، فتوهموا أن هذه هي الوجودية، مع أن هذا التحرر سائد في باريس منذ مئات السنين.

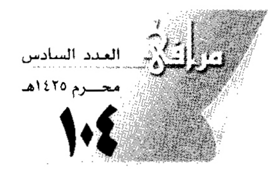
ويبدو أن حصول " بدوي " على الدكتوراه؛ أتاح له فرصة الحركة والسفر والبحث بصورة أكبر، فيتناول زياراته أو رحلاته إلى باريس وسويسرا وإيطاليا، ويتحدث في إسهاب عن باريس وفنادقها ومقاهيها وحدائقها وكنائسها والطلبة المصريين ورسائل الدكتوراه ومناقشاتها، منتقداً مستواها المتدني، والمكتبة الوطنية وقضاء وقته بها، وإنجازاته العلمية من خلالها، وخاصة في المجال الفلسفي.

انتقل "عبد الرحمن بدوي" إلى جامعة عين شمس

الجانب الآخر في سيرة (عبد الرحمن بدوي)

التي أنشئت عام ١٩٥٠ باسم جامعة إبراهيم باشا الكبير ورأى في ذلك مفارقة لعش الأفاعي وموئل المنافقين ومرتع الجهال الدساسين! ويحمل على زملائه حملة شعواء، فيها كثير من المبالغة، وتستمر هذه الحملة ليصف الجو في الجامعة في الفترة (١٩٦٠-١٩٦٦) بالفساد الذي لا علاج له أبداً، وتنافس الأساتذة في العمل بالمخابرات وكتابة التقريرات لمكتب الأمن وللمخابرات العامة والمخابرات العسكرية (!)، وصارت المناصب الجامعية الإدارية - كما يقول - لعملاء المخابرات وحدهم، وينتقد بعض وزراء التعليم العالي في هذه الفترة حيث ضيقوا على أعضاء هيئة التدريس وألزموهم بالتوقيع على الحضور يومياً، مع إلزام رئيس القسم بتقديم كشف غياب كل خميس (١/٣٥٩) ولا يكتفي "عبد الرحمن بدوي" بانتقاد الزملاء والوزراء، ولكنه يخصص صفحات عديدة للحديث عن الانهيار الخلقي والعلمي في الجامعة، ولا ينقذه من هذا الجو إلا غيبته الكبرى في ١٨ فبراير ١٩٦٧ودعوته إلى التدريس في السوربون.

ويبدو أنه كان مشغولاً منذ زمان بعيد بمسألة إصلاح الجامعة، فهو يحدثنا عن لجنة لتعديل نظام الجامعات في مصر، شارك فيها عام ١٩٥٣، وكانت الثورة قد شكلت هذه اللجنة، فاقترح تبادل المناصب في الجامعة والكليات على أساس دوري ولمدة عام واحد بما يضمن التنوع، ويغلق الباب على التنافس الخسيس كما يصفه!.



(٤)

ترافقت الغيبة الكبرى لعبد الرحمن بدوي عن مصر،بالهزيمة المريرة في ٥يونيو ١٩٦٧، لذا كانت فرنسا، وأصداء الهزيمة في صحفها وكتابها وحكومتها وشعبها محوراً بارزاً في سيرة حياته فخصص لها صفحات طويلة دعمها بالإحصاءات والتواريخ، ولم يغفل الظواهر السياسية والاجتماعية والأدبية والفنية التي طرأت على المجتمع الفرنسي في هذه المرحلة، مؤكداً على إصراره على البحث والتأليف ومتابعة النشاط الثقافي في باريس وغيرها من المدن الأوربية التي كان يزورها في الإجازات السنوية أو من خلال المؤتمرات والندوات الدولية.

"وداعاً أيها الوطن المكبل بالقيود، الحافل بالجواسيس والمخبرين، فضاع صوت الأحرار من المواطنين بين جمهور المواطنين المستسلمين "(٢/٥).. هكذا بدأ عبد الرحمن بدوي" الجزء الثاني من سيرة حياته، ولعل إسهابه في وصف ما جرى في مصر آنئذ، سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، وإلقائه التبعة على الشيوعيين المؤتمرين بأوامر موسكو والمسيطرين على وسائل الإعلام، يفسر العبارة التي بدأ بها الجزء الثاني من سيرة حياته.

وفي وسط هذا الجو،لا ينسى واجبه التعليمي، حين يحمل على الطلاب العرب، وسعيهم إلى الموضوعات السهلة في مجال الدراسات العليا، كما يحمل على المشرفين الذين ييسرون لهم الحصول على الدكتوراه من أقرب طريق، والمشرفين الذي لا يقرأون رسائل طلابهم، ويرى في سلوك المشرف الذي يعترف أمام الجمهور أنه

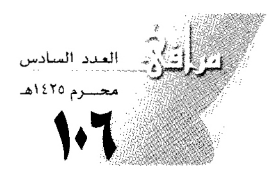
الجانب الآخر في سيرة (عبدالرحمن بدوي)

لم يقرأ إلا نصف الرسالة أو فصولاً؛ وقاحة وانعدام ضميرا.

ويشير إلى البدع الفكرية آنذاك في فرنسا (عهد ديجول)،وتتمثل في الوجودية المشوهة الزائفة والبنيوية وهي فكرة بسيطة بقدر ما هي قديمة، ثم كتاب " ميشيل فوكو" (الألفاظ والأشياء) أما المسرح فكان يخيم عليه الظلام آنئذ بسبب افتقاره إلى مؤلفين مبدعين ومخرجين مبدعين أيضاً، وينتقد مسرحيات " صمويل بيكيت" ويوجين يونيسكو" التي يراها عبثاً أو فارغة من المضمون، ويعجب للبلهاء من مؤيديها الذين يطلقون الخيال للتأويل، وينتقد أيضاً مسرح " أراموف" حيث يرى أن مسرحياته مظلمة عابسة تحفل بالعلاقات السادية والمازدكية.

ويحمل أيضاً، على السيريالية في الشعر، وإن كان يشرح مفهومها ونشأتها ويقدم نماذج لها، ويشير إلى انهيارها غداة الحرب العالمية الثانية حيث صار أقطابها الأربعة (بريتون وزملاؤه) مجرد أشباح واهمة لحركة كانت عنيفة نشيطة.. ثم يتحدث عن أهم الاتجاهات الأدبية بعد الحرب العالمية الثانية، ولا ينسى أن يشير إلى مقاهي باريس الأدبية وأفول نجمها، ونظائرها في أوربة.

ومع أنه كان يحاضر في الكوليج دي فرانس والسوربون إلا أن عار الهزيمة في عام ١٩٦٧ كان يلاحقه فأخذ يستعرض مقدمات الهزيمة ووقائعها، ويرصد رد الفعل في فرنسا على مستويات عدة، ويشير إلى الكتاب الذين وقفوا إلى جانب العدو وأيدوه، ومنهم ناتالي ساروت (روائية) ويوجين يونيسكو (مسرحي)، وريمون



أرون (أستاذ جامعي)، وقد هاجموا مصر هجوماً بذيئاً، ومن المفارقات أن بعضهم زار مصر بعد الهزيمة وقوبل بحفاوة بالغة ! وهناك مواقف فخرية ضد مصر، وقفها " سارتر" و "موريس مورجيه" وغيرهما.

ويقارن بين موقف ديجول" ورئيس وزرائه "بومبيدو" والحزب الشيوعي الفرنسي، والحزب الاشتراكي الفرنسي الذي كان يقوده (جي موليه) المسئول الأول عن العدوان الثلاثي على مصر. لقد تتبع " عبد الرحمن بدوي" مواقف جميع القوى الفرنسية، وساعده على ذلك وجوده في باريس، ولكنه في كل الأحوال، كان يشعر بالخزي والعار أمام من يعرفونه من الفرنسيين، حيث كانت نظراتهم وبوادرهم وكلماتهم سهاماً مسمومة، مهما تكن مشاعر من صدرت عنه: تشفياً أو تعاطفاً، حتى لو لم يلفظ أي منهم بعبارة مهينة، " فقد كان شعوري إزاءه هو أنه في صميم قلبه مغتبط أيما اغتباط بما حل بنا" (٢/٨٩).. ويفصل بدوي ما جرى من أحداث في مصر عقب الهزيمة داخل الجيش والحكومة والرئاسة والأمم المتحدة ولا ينسى في كل الأحوال موقف الروس" الغادر" كما يراه.

إن اهتمام " عبد الرحمن بدوي" بالجانب العلمي والثقافي لا يتوقف، ومع إحساسه بالخزي والعار نتيجة هزيمة ١٩٦٧، فإنه يستمر في متابعة ما يجرى في باريس، وتسجيل أهم النشاطات الفكرية التي عاصرت الهزيمة، ومن أبرزها تخليد" برجسون" في البنانتيون (مقبرة العظماء) مع أنه بولندي الأصل، ومعرض لوحات



مصورين من القرن العشرين مثل: سيزان، ورينوار، وماتيس..

أما باريس عقب أحداث مايو ١٩٦٨ التي شدّت العالم أيامها، فهي هي لم تتغير لأن هذه الأحداث كما يراها زوبعة في فنجان، ولم تخلف آثار تدمير أو تخريب في باريس، ويشير إلى نتائج انتخابات يونيه ١٩٦٨، التي فاز فيها الديجوليون بالأغلبية الكبيرة، وتراجع الاشتراكيون والشيوعيون " حيث دخلوا جحورهم" (٢/١٩٤).

(٥)

كانت فرصة الدعوة إلى السوربون، وخروجه من مصر في الغيبة الكبرى، مجالاً لقبول العمل في كلية الآداب والتربية الليبية الوليدة، وهو لا يحدثنا في هذه المناسبة عن الجامعة الليبية بقدر ما يحدثنا عن ليبيا وأحوالها السياسية، فيستعرض تاريخ السنوسيين، والعلاقة مع الغرب، وخاصة بريطانيا وإيطاليا، ويتحدث عن القبائل ونفوذ البريطانيين والأمريكيين، والتكوين الديموجرافي، والطوائف الدينية، مع إشارة تكشف عن النفوذ الصهيوني الكبير بين يهود ليبيا، مما آثار أعمال عنف واضطهاد انتهت بالتخلص شبه النهائي منهم. ويتعرض صاحب السيرة إلى المذاهب الإسلامية في ليبيا وخاصة الأباضية، ورجالها، وفرقها، وفحوى المذهب، كما يتناول الطرق الصوفية في ليبيا وخاصة السنوسية وقوة انتشارها، والشاذلية ورجالها، ثم يتوقف عند اللغات واللهجات المنتشرة خاصة (البربرية والعربية) ويقدم جداول لغوية مقارنة بين اللهجة المصرية ولهجة بني



غازي، ويتطرق إلى التركيب السكاني في بني غازي من حيث أهم الأسر ومميزاتها.

وفي خضم هذا العرض المتنوع يعيدنا إلى عمله في الجامعة، ومؤلفاته التي أنجزها حول تاريخ الفلسفة، ولكنه بعد ما يقرب من صفحة ونصف صفحة يستأنف مستطرداً للحديث عن الفتح العربي لليبيا، وأهل العمل في طرابلس وبرقة منذ هذا الفتح، ويرى أن ليبيا أصيبت بالعقم الفكري طوال تاريخها منذ الفتح الإسلامي، ويذكر مقولة أرسوا: " ليبيا تأتي دائماً بالعجائب".

ويبدو أن الأحوال العلمية المعاصرة في ليبيا لم تكن بأسعد حالاً منها في الزمن البعيد، عقم تام في العلم والأدب، ويدلل على ذلك بمن عرفهم من الشعراء والأدباء، أو قرأ لهم، ثم يشير إلى محاولات حمقاء لبعث ما سماه " الشخصية الليبية" قام بها" عبد الحميد البكوش" عندما كان رئيساً للوزراء، برد أصول الليبيين إلى التاريخ القديم، وقيام بعض المغامرين بالاستيلاء على بعض المناطق في مصر (٢/١٦٨).

يسجل قيام الثورة في أول سبتمبر ١٩٦٨، ويتناول التغييرات التي جرت للجامعة (فصل المدير، والعمداء، وتشكيل لجان من الطلاب، ثم التزلف والنفاق من بعض هيئات التدريس المحليين والمصريين والدسائس والمكائد وتدابير الأشرار الحاقدين).. (٢/٢٢٦)

كما يتناول ما يسمى بالثورة الثقافية في ليبيا (١٩٧٣/٤/١٥) بإلغاء جميع القوانين وإطلاق الحرية الكاملة للجماهير والشعب، وتسليحه، والثورة في الإدارة



وفصل جميع الموظفين السلبيين، واستبعاد كل النظريات المستوردة والمتعارضة مع الإسلام، ومع أهداف ثورة الفاتح من سبتمبر.

وهنا تقع الواقعة، ويتم اعتقال " عبد الرحمن بدوي" وتفتيش شقته، ومصادرة كتبه، ولم يكن الوحيد الذي داهمته الشرطة الليبية، واعتقلته، بل كان هناك عميد الكلية وآخرون من المحامين والأساتذة والأطباء وغيرهم. وهنا يشي الرجل "بمحمد حسن الزيات" وزير الخارجية المصري آنئذ، الذي كلفه الرئيس السادات بالعمل على إطلاق سراحه عقب وصول خبر اعتقاله.

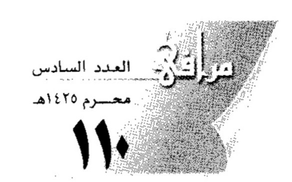
الجانب الآخر في سيرة (عبدالرحمن بدوي)

ويذكر ردود الأفعال على الاعتقال، وتحرك بعض الصحفيين للكتابة عند الاعتقال، أو سؤال العقيد القذافي في المؤتمرات الصحفية حول هذا الاعتقال، أو قيام بعض المفكرين الأجانب مثل" جاك بيرك" بجمع التوقيعات للإفراج عنه.

كما يذكر أنه حين عاد إلى مصر، شكر الرئيس السادات لموقفه الكريم، والعظيم ومسعاه للإفراج عنه، ويشير إلى أن زملاءه طلبوا منه أن يعود إلى العمل في الجامعة (عين شمس) فرفض أن يكتب طلباً بذلك، وكان يرى أن الأمور لا تشجع على العمل في مصر بالنسبة له.

في أثناء المرحلة الليبية، نجد "عبد الرحمن بدوي" يستغل الإجازات السنوية وغيرها، للسفر إلى إيطاليا وفرنسا ودول أخرى، سواء للبحث أو المشاركة في المؤتمرات والندوات أو زيارة المتاحف والمعارض.

ولعل أبرز ما سجله في هذه الزيارات، لقاؤه في قصر



الفاتيكان بالكاردينال "مرلا" في يناير ١٩٦٨، ورتب اللقاء الأب "جورج شحاته قنواتي" الراهب الدومينكاني، المصري الجنسية، السوري الأصل، والباحث في الفلسفة الإسلامية، ويخرج من هذا اللقاء بنتيجة تتحدث عن عقم هذه اللقاءات وعدم جدواها " والرأي النهائي عندي هو أنه ينبغي عدم إجراء حوار بين الأديان المختلفة؛ لأن الحوار سيؤدي قطعاً إلى إثارة المنازعات... والموقف العاقل السليم هو ترك كل دين يعني بشئونه هو وحده، دون تدخل أي دين في شئون دين آخر. وليكن مبدأ كل دين تجاه أي دين آخر: لنا ديننا ولكم دينكم " (٢/١٨٢).

بيد أنه لا يعفي الفاتيكان من الولاء لليهود في فلسطين المحتلة، من خلال مواقف عديدة، وسياسة ثابتة تنحاز لليهود على حساب العرب!

ثم إنه يقدم لنا صورة مفصلة عن التغير الذي جرى في مدريد عند زيارته إلى أسبانيا، بدءاً من ارتفاع أسعار فواكه البحر (الجمبري) واللحوم والأسماك إلى القلاقل التي تعم أسبانيا خاصة في إقليم الباسك مما اضطر حكومة "فرانكو" إلى إعلان الطوارئ وإعادة الرقابة على الصحف.. ثم تنصيب " خوان كارلوس" ولياً للعهد على أن يصبح ملكاً حين يموت "فرانكو".. إنه يستعرض الحياة الأدبية في أسبانيا من خلال أهم جوائزها الأدبية (بلانيتا) ومنحها للأديب المهاجر (رامون خوسيه سندر).. ثم يشير إلى إطلاق فرانكو لمزيد من الحريات، ويصفه.. بالحارس الأمين الذي لا يترك أبداً حراسته، ويشير إلى دوره في حماية النظام وإرضاء الكنيسة والتحولات



الجــانب الآخــر في ســيــرة (عــبـدالرحـمن بــــــدوي)

العميقة التي أحدثتها في الميدان الاقتصادي والاجتماعي والصناعي حتى تغيرت ملامح الأندلس في ربع قرن (١٩٥٠-١٩٧٥) من أهلها إلى احتلال مكانة مرموقة في الاقتصاد الأوربي.

إنه لا يقدم هذا التغير بصورة مبسطة، ولكنه يقدمه من خلال شرح تاريخي وديموجرافي لأسبانيا (أيبريا) والثورات التي مرّت بها، وامتدت إلى المستعمرات في أميركا اللاتينية والجنوبية، مما يعني أن الرجل مهموم بالتأصيل لما يقول، وإضاءته بأكبر قدر ممكن من المعرفة والفكر.

وفي رحلته إلى الولايات المتحدة لحضور مؤتمر للفلسفة الإسلامية في جامعة"هارفارد" بمدينة كمبردج (إبريل ١٩٧١) يتحدث عن الجامعة وتاريخها ومستواها الفعلي الذي لا يتكافأ مع الشهرة المقترنة باسمها، لأن غالبية أعضاء هيئة التدريس من مستوى متوسط أو دون المتوسط، ومن النادر كما يقول - أن تجد بينهم عالماً ممتازاً في الإنتاج في أي فرع من فروع العلوم الإنسانية أو العلوم الطبيعية. وإن عثرت على واحد من هذا الطراز وجدت إلى جانبه عشرات من العقيمين والطفيليين والتافهين الذين لم يحصلوا على مناصبهم إلا بطرق خسيسة ليس بينها وبين العلم أي نسب أو صلة، ومع ذلك فإن هذه الجامعةحين تريد اختيار أو ترشيح أحد من أعضاء هيئة التدريس، فإنها تجري تجارب بهلوانية هي من التهريج والخداع اللذين لا ينطليان على أحد (٢/٢٢٩)، وكان " عبد الرحمن بدوي) يأبى إلا أن تشارك



هارفارد الجامعات المصرية -من وجهة نظره - في الفساد والبهلوانيات.

يصف نيويورك بمدينة المتناقضات، ويتناول سكانها وخاصة اليهود، وحيّ "مانهاتن" الشهير الثري، ويراها مدينة تفتقد الأمن، وخاصة منذ الغروب، وقد اقسم ألا يعود إليها أو إلى أية مدينة أخرى في الولايات المتحدة !

(٦)

لم تكن مشاغل " عبد الرحمن بدوي" في غيبته الكبرى عن وطنه، مانعة له عن متابعة التحولات التي تجري على أرضه، وخاصة في القمة، فكتب عن وفاة عبد الناصر، وقام بتفسير خاص للجنازة التي شيعته إلى مرقده، وتناول تعيين السادات نائباً للرئيس، ثم رئيساً، ثم صراعه مع منافسيه، ووزارة محمود فوزي، ورفض هيكل الاشتراك فيها، وتصفية فريق " علي صبري"، وإنشاء المدعي العام الاشتراكي وموقف الاتحاد السوفيتي، واتحاد مصر وليبيا والسودان، والتوتر بين مصر وليبيا،...

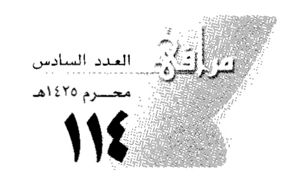
بيد أنه في غيبته الكبرى يسجل لنا وقائع وزيارات عديدة، لعل أبرزها ما يتعلق بمؤتمر المستشرقين، وإيران.

فمؤتمر المستشرقين، تعرض لمؤامرة لإلغائه، كان بطلها المستشرق " برنارد لويس" وهو صهيوني ضالع بنشاط كبير في المؤسسات الصهيونية، ومستشار هذه المؤسسات في إنجلترا، وبعد ذلك في قلعة الصهيونية - يقصد الولايات المتحدة - ويؤكد " بدوي" أن " لويس" كان مكلفاً من المؤسسات الصهيونية بنسف المؤتمر، الذي يعد



مجالاً دولياً ممتازاً لإبراز معالم الحضارة العربية، ودراسة أوجه الحضارة الإسلامية بعامة في سائر بلدان المسلمين.. واستطاع " لويس" وآخر التأثير على رئيس المؤتمر لتنفيذ المؤامرة بحل مؤتمر المستشرقين وتجزئته إلى مؤتمرات متعددة أو عدة مؤتمرات خاصة، أطلق على المتعلق منها بالدراسات الإسلامية والعربية اسم "مؤتمر العلوم الإنسانية للشرق الأدنى وشمال إفريقيا" فكانت الدول ترسل مندوبين عنها لا علاقة لهم أبداً بالدراسات الإسلامية والعربية (٢٥٥-٢/٢٥٦).

أما ما يتعلق بإيران، فقد زارها لحضور مؤتمر "أبي الريحان البيروني" في طهران، وقد أتيح له أن يزور كثيراً من المدن الإيرانية التاريخية، ثم أتيح له أن يقضي في العاصمة الإيرانية عاماً كاملاً للاطلاع على المخطوطات، ويدرس في كلية " إلهيات وعلوم إسلامي"، ويقدم صورة تفصيلية عن كثير من أوجه النشاط العلمي والإنساني والاجتماعي في إيران، فضلاً عن التاريخ السياسي للدولة الإيرانية، و يتعرض في ثناياه للفتنة البابية البهائية حتى يصل إلى إيران المعاصرة، وهي صفحة مهمة جداً للتعرف على إيران من الداخل، على أكثر من مستوى. وفي هذا السياق يتعرض لقضايا خلافية حول المرأة والغناء والموسيقى... ويدلي بآرائه الخاصة.. بيد أنه يخصص صفحات كثيرة للحديث عن الأدب والفلسفة، وفهارس المكتبات، والمقارنة بين اللغة الفارسية واللغة الإيرانية، ومؤتمر سيبويه في شيراز، ويتحدث عن شيراز المدينة ومعالمها وشعرائها، وخاصة سعدي وحافظ،



ومساجدها، ومدرسة ملاصدرا، وروزهان البقلي ومؤلفاته، ومؤتمر الفارابي، وقبر أحمد الغزالي شقيق حجة الإسلام محمد الغزالي، في تفصيل دقيق.. ثم يقدم تقويماً لإقامته في إيران ينتهي إلى النقاط التالية:

- الإطلاع على عدد وافرمن الكتب والمخطوطات.
- تحقيق مجموعة من الكتب كلياً أو جزئياً.
- تأليف " تاريخ التصوف الإسلامي" في القرن الأول للهجرة وبعض القرن الثاني.
- الإعداد للجزء الثالث من كتابه "مذاهب الإسلاميين"
- التجربة الحية الخصبة العميقة، عاشها مع الشعب الإيراني وتاريخه قبل الإسلام وبعده.
- الاحتشام بالنسبة للمرأة الإيرانية طبع أصيل فيها.
- لا وجود للتحلل والخمر في واقع المجتمع الإيراني.

كان عبد الرحمن بدوي يتوق إلى البقاء في إيران، ولكن عرضا بالعمل في جامعة الكويت، جعله يفضل المرتب الأكبر، والانتقال إلى قسم الفلسفة بكلية الآداب في الكويت.

لا يحدثنا بالطبع عن فترة الكويت، لأن السيرة انتهت مع نهاية إقامته في طهران، ولكنها قدمت لنا على امتداد نحو ثمانمائة صفحة عالماً من الرؤى والتصورات والصراعات والرغبة العارمة في المعرفة والإطلاع والتعلق بالمثال في العلاقات الإنسانية، والبناء الحضاري والثقافي. وهو ما يغطي على ضجيج الأفكار السياسية و الانتماءات الحزبية التي عاصرها أو عايشها أو داخلها "عبدالرحمن بدوي" في مقتبل حياته، ويبقى منه جانب

الجـانب الآخـر في ســيــرة (عـبـدالرحـمن بـــــدوي)

مهم، كان يتبدى عرضاً في سرده لسيرة حياته من خلال لغة تقريرية علمية، أعني الجانب الأدبي والإبداعي الذي كان يطل على استحياء من بين بعض الفقرات على هيئة تشبيهات أو استعارات أو اقتباسات شعرية. أو عبر حديث عن شعراء وروائيين لهم وزن كبير، ولكن المفاجأة التي لم تكن في حسبان كثير من قرائه هي نظمه للشعر، فقد قدم أكثر من مقطوعة، نختم بواحدة منها هذا العرض.

يقول في قصيدة كتبها، وهو يختتم تدوين سيرته الذاتية في ٥مارس ١٩٨٨، وقد شعر بآلام روماتيزم في مفصل الساق اليسرى، فراح يشكو حاله بهذه الأبيات التي تتراوح قوة وضعفاً، وإيحاءً وتقريراً، وتنوعاً في القافية:

أجـمل الأيام أيام الشـباب
إن سن الشـيخ مـلأى بالعـذاب
قد يقال: الفقر من حظ الصبا
إنما الإثراء محصول الغلاب
صـحة الأبدان أولى من غنى
في ذيول العمر بالأدوا مصاب
أي طعم في طعام فاخر
بينما الأسنان وافاها الخراب؟!
أي إمتاع يرجى بعد ما
غاضت الشهوة من كأس الشراب!!
القليل الأمس يكفي متعةً
والكثير اليوم كالخمر المزيج



رحم الله ليالي الملتقى

تحت ضوء البدر في الغاب المريج

لم يعد في الأفق بدرٌ أو سنا

لم يعد في الأرض روض أو أريج

أين إحساسي بأطياف الدُّجى

وانتشائي بتباريح الغلس؟

ومناجاتي لطير منشد

أو لطير في ذرى الدوح جلس

أين إعجابي بنبع هادر

يطلب الغوث إذا الماء انحبس؟!

أين سكب الدمع مدراراً إذا

دق للتوديع والبين الجرس؟!

لم أمتع في حياتي مطلقاً

غير ساعات قليلات خُلس!

ترى ما هي المتعة التي كان يتمناها عبد الرحمن بدوي؟ الله أعلم!



الثقافة في الصحف السعودية مطــــالعات ورؤى

بقلم/
محمد بن حسن أبو عقيل*

• كاتب سعودي.

مقـدمة:

في كل أمة من الأمم ينظر إلى الثقافة على أنها دليل تقدم وعنوان رقي ورمز حضارة، فكلما ازدادت ثقافة الأمة ازداد رقيها وتقدمت حضارتها، والعكس بالعكس. وإذا كانت الجامعات والمدارس والأندية الأدبية ونحوها محاضن ثقافية، فإن وسائل الإعلام تعد من أهم تلك المحاضن، بل من أخطرها على الإطلاق. والصحافة جزء مهم من وسائل الإعلام؛ ذلك لأنها تخاطب شريحة كبيرة من شرائح المجتمع، إن لم تكن تخاطب المجتمع بأسره وبمختلف طبقاته الثقافية وتوجهاته الفكرية. والصحف السعودية ضربت بسهم وافر في المجال الثقافي حيث إن لها اهتماماً ملحوظاً بالثقافة سواء عبر الملاحق الثقافية أو غيرها من الصفحات والزوايا التي تصب في الثقافة نفسها.

تاريخ الصحف السعودية:

يشمل تاريخ الصحف السعودية ما يلي:

أ- الصحافة قبل توحيد المملكة العربية السعودية.

ب- والصحافة بعد توحيد المملكة العربية السعودية.

أ- أما الصحافة قبل توحيد البلاد السعودية فقد كانت موجودة في الحجاز فقط، وقد مرت بطورين:

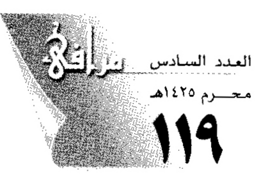


١- الطور التركي ويبدأ من صدور الدستور العثماني سنة ١٣٢٦هـ ١٩٠٨م إلى بدء ثورة الشريف حسين التي دعيت " بالثورة العربية الكبرى" سنة ١٣٣٤هـ١٩١٦م. وفي هذا العهد برزت خمس صحف أولها جريدة " حجاز" وكانت ناطقة باسم السلطة التركية وحررت بالعربية والتركية وهي الوحيدة التي امتد أجلها سبع سنوات والجرائد الأخرى صدرت بعد ظهور الأولى بسنة واحدة وهي " شمس الحقيقة" بمكة، و"الإصلاح الحجازي" بجدة و"الرقيب" بالمدينة المنورة، و"صفا الحجاز" بجدة. وكان عمر هذه الصحف الأربع يتراوح بين عدة أشهر ويوم واحد. ولم يكن لهذه الصحف قيمة أدبية أو علمية وسياسية.

٢- والطور الثاني في هذه الحقبة يمتد من بدء الثورة العربية الكبرى، واستقلال الشريف حسين بالحجاز سنة ١٣٣٤هـ. وقد ظهرت ثلاث جرائد، ومجلة واحدة. والجريدة الأساسية الرسمية هي " القبلة" التي صدر العدد الأول منها في ١٥ شوال ١٣٣٤هـ، و قد تولى رئاسة تحريرها الشيخ فؤاد الخطيب الذي أصبح فيما بعد وزيراً للخارجية الهاشمية، والذي لقب بشاعر العروبة. ومن الجرائد في هذه الحقبة" الفلاح" المكية التي صدرت في ١٣٣٨هـ، وجريدة "بريد الحجاز"، و"المجلة الزراعية " للمدرسة الزراعية بمكة.

الصحافة بعد توحيد السعودية:

وإذ جئنا إلى الصحافة بعد توحيد البلاد السعودية نجدها أيضاً قد مرت بعهدين:



١- عهد الصحافة الفردية، التي استمرت التجربة فيها لمدة أربعين سنة على وجه التقريب وذلك سنة ١٣٤٣هـ ١٣٨٢هـ. وسميت بالصحافة الفردية لأن امتيازها كان يعطى لفرد واحد في أكثر الأحيان. وفي هذه الحقبة صدرت ثلاث وثلاثون صحيفة ومجلة في أرجاء المملكة. أولها أم القرى، في ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣هـ بمكة المكرمة. وهي جريدة الدولة الرسمية. ومن تلك الصحف" مجلة الإصلاح"،" صوت الحجاز" ١٣٥٠هـ، والبلاد السعودية ١٣٧٣هـ والمنهل ١٣٥٥هـ، والمدينة المنورة ١٣٥٥هـ وغيرها من الصحف السعودية والمجلات. وكان ذلك في المنطقة الغربية. أما أول من أصدر مجلة في مدينة الرياض العاصمة فهو حمد الجاسر باسم" اليمامة". وكانت شهرية ثم صارت أسبوعية ١٣٧٣هـ. وفي السنة نفسها " مجلة الرياض" الشهرية، ثم صارت أسبوعية، وكانت تطبع بجدة. وصدرت في العام نفسه " قافلة الزيت" الشهرية بالظهران ١٣٧٣هـ، ثم أخبار الظهران ١٣٧٤هـ. وصدرت مجلة "كلية التربية " ومجلة الأضواء بجدة. ثم جريدة "حراء" الأسبوعية وقد رأس تحريرها صالح محمد جمال ثم اندمجت في سنة ١٣٧٧هـ في جريدة " الندوة" وصار اسمها " حراء" ثم عدلت إلى اسم" الندوة" وهناك جريدة عرفات وكانت أسبوعية، وجريدة المعرفة لوزارة المعارف. ومن الجرائد كذلك روضة الأطفال والرائد بجدة. كما صدرت في الرياض جريدة" القصيم" وفي سنة



١٣٧٩هـ صدرت أربع دوريات هي مجلة الجزيرة بالرياض وكانت شهرية أيضاً. وعكاظ وكانت بالطائف ثم في جدة. ثم مجلة التجارة، إلى غير ذلك من الصحف والمجلات.

٢- عهد المؤسسات الصحفية: قرر مجلس الوزراء في ٢٣جمادى الأولى سنة ١٣٨٠هـ ١٩٦٣/١١/٨م إلغاء امتياز كافة الصحف الموجودة في المملكة ومنحه شركات أو مؤسسات أهلية خاصة وفي ٢٤شعبان سنة ١٣٨٣هـ ١٩٦٤/٢/٤م صدر مرسوم ملكي بنظام المؤسسات الصحفية الأهلية مشترطاً ألا يقل عدد أعضاء المؤسسات الصحفية عن خمسة عشر عضوا، إلى غير ذلك من الشروط والضوابط المادية المتعلقة بالمؤسسات الصحفية وبناء على هذا المرسوم فقد أنشئت المؤسسات الصحفية التالية.

١- مؤسسة عكاظ للصحافة وتصدر عنها جريدة عكاظ اليومية بجدة.

٢- مؤسسة البلاد للصحافة وتصدر عنها جريد البلاد اليومية بجدة.

٣- مؤسسة الندوة للصحافة وتصدر عنها جريدة الندوة اليومية بمكة.

٤- مؤسسة المدينة للصحافة وتصدر عنها جريدة المدينة اليومية بجدة.

٥- مؤسسة الجزيرة للصحافة وتصدر عنها جريدة الجزيرة الأسبوعية ثم صارت يومية بالرياض.

٦- مؤسسة اليمامة للصحافة وتصدر عنها جريدة



الرياض اليومية بالرياض، واليمامة الأسبوعية بالرياض.

٧- مؤسسة الدعوة الإسلامية وتصدر عنها الدعوة الأسبوعية بالرياض.

٨- مؤسسة اليوم للصحافة وتصدر عنها جريدة اليوم الأسبوعية ثم صارت يومية بالشرقية.

ولو حاولنا أن نعود إلى نظام المطابع أو المطبوعات الذي يطبق أيضاً على هذه المؤسسات الصحفية لوجدنا أنه يحرم على الصحف الافتراء على الأشخاص والهيئات بغية إيقاع الضرر بهم أو الحط من قدرهم والازدراء بشرفهم وكرامتهم ونشر شيء يمس اسمهم أو سمعتهم أو ثروتهم ويحرم الدعوة إلى الفساد والضلال والإلحاد والمبادئ الهدامة ومخالفة الأعراف والتقاليد والمصلحة العامة للبلاد كما يمنع التعرض للملوك ورؤساء الجمهوريات والدول الصديقة ومن يمثلهم داخل المملكة.

الثقافة في الصحف السعودية:

إذا طبقنا المفهوم الشامل للثقافة بأنها " ذلك الكل المعقد الذي يتضمن المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادة وكل ما يمكن أن يكتسبه الإنسان باعتباره عضواً في مجتمع" أو كما يقول بعضهم عن الثقافة بأنها " الأخذ من كل فن بطرف" إذا طبقنا هذا المفهوم فلن نستطيع أن نخرج صفحة واحدة من أي صحيفة عن دائرة الثقافة بل كل صفحة من صفحات أي

صحيفة تعتبر جزءاً من الثقافة على هذا المفهوم الشامل. ولكن المتابع للصحف عموماً وللصحف السعودية على وجه الخصوص يجد أنها تفرد صفحات يومية أو ملاحق أسبوعية باسم الثقافة حيث تخصها بمعلومات ثقافية لا تكون في غيرها من صفحات الصحيفة والذي يثير الانتباه ويدعو إلى التساؤل هو اختلاف الصحف السعودية في ملاحقها الثقافية سواء من ناحية التسمية أو من حيث مضامين هذه الملاحق وموادها الثقافية وعند كتابتي لهذا الموضوع اتضح لي ما يلي:

١- عكاظ صفحة ثقافية يومية واحدة بعنوان: الثقافي أو ثقافي عكاظ بالإضافة إلى صفحة أخرى بعنوان: ثقافة العصر ولا أدري ما الفرق بين ثقافي عكاظ وثقافة العصر؟

٢- المدينة لها ملحق ثقافي أسبوعي بعنوان: ملحق الأربعاء.

٣- الرياض لها ملحق ثقافي بعنوان: ثقافة اليوم مكون من صفحتين يومياً: وتزيد صفحات هذا الملحق يوم الخميس إلى ست صفحات.

٤- الجزيرة لها ملحق ثقافي يومي بعنوان: الثقافة مكون من صفحة واحدة بالإضافة إلى ملحق أسبوعي يصدر كل خميس بعنوان:" الثقافة "

٥- البلاد لها عدد مميز وهو البلاد الجمعة وفيه ملحق التراث الذي توقف فيما بعد كما توقف ملحق الجمعة.

٦- الندوة لها ملحق أسبوعي وهو الملحق الأدبي يوم الأحد.

٧- اليوم لها ملحق ثقافي أسبوعي بعنوان: اليوم الثقافي يصدر يوم الاثنين.

٨- الوطن لها ملحق يومي بعنوان: الوطن الثقافة.

وهذه الملاحق تتفاوت فيما بينها تفاوتاً كبيراً من حيث الاهتمامات الثقافية والأدبية والمضامين الفكرية وهو ما سنعرفه بإذن الله تعالى في مطالعاتنا التالية والتي تمت في مطلع العام الهجري ١٤٢٢هـ وفي شهر محرم بالذات، وأعني بها المطالعات اليومية المنتظمة للملاحق المذكورة أما المطالعات غير المنتظمة فتعود إلى أعوام سابقة عديدة مع تفاوت في تلك المطالعات بين هذه الملاحق.

مطالعات ورؤى حول الصفحات الثقافية في الصحف السعودية

أولاً: صحيفة عكاظ:

كما عرفنا بأن عكاظ لها صفحة ثقافية يومية واحدة بعنوان "الثقافي" أو " ثقافي عكاظ" بالإضافة إلى صفحة أخرى بعنوان: ثقافة العصر، والمطالع لثقافي عكاظ يتضح له ما يلي:

١- اهتمام ثقافية عكاظ بالأخبار الثقافية أكثر من اهتمامها بالإبداع الثقافي والفنون الأدبية.

٢- غلبة التوجه الحداثي على ثقافية عكاظ واستكتاب رموز الحداثة من داخل المملكة وخارجها.

٣- من الإنصاف القول بأن صفحات أخرى في عكاظ غير الملحق الثقافي تهتم بالنواحي الثقافية وتصب في الجانب الثقافي وذلك مثل" نصف الدنيا" شباب



الوطن" " سوق عكاظ" " ساحة الرأي" " الفكر الإسلامي" وكذلك بعض الزوايا الثابتة في عكاظ مثل" إشراقة هاشم عبده هاشم التي تنم عن أديب مطلع ومفكر مجرب وكاتب مبدع، وكتابات عزيزة المانع وإن كانت تختلف من عدد لآخر قوة وضعفاً وقد تلجأ أحياناً إلى عرض رسائل قرائها في زاويتها وهو ما يفعله الكاتب عابد خزندار في زاويته "نثار" ومن الزوايا الثقافية كذلك في عكاظ " زاوية مع الفجر" لعبد الله عمر خياط، وفيها كتابات جيدة مليئة بالتجارب والخبرات الصحفية وكذلك زاوية "على خفيف" لمحمد الحساني وزاوية" مع الأحداث" لعبد العزيز مؤمنة وبالرغم من هذه الرؤى التي قد تكون سلبية أحياناً على ثقافة عكاظ فإنها تبقي هي الجريدة ذات الصيت الشعبي الواسع، ولا أبالغ إذا قلت إنها الجريدة الأكثر انتشاراً من وجهة نظري الخاصة. وربما يعود ذلك لملامستها حياة الناس ومشاكلهم وهمومهم ويبقي أن نقول لعكاظ ومنسوبيها كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه.

ثانياً: صحيفة المدينة:

الأربعاء ملحق ثقافي أسبوعي يصدر كل أربعاء عن صحيفة المدينة ومن خلال مطالعاتي للأربعاء في الفترة الزمنية التي بينتها سابقاً خرجت بالرؤى التالية:

١- حوالي ثلث الملحق يتحدث عن الفن والفنانين باعتباره جزء من الثقافة وبقية صفحاته تتحدث عن الأنواع الأخرى للثقافة.

٢- يؤخذ على الملحق التذبذب في المحتوى حيث نجد بعض الأعداد رفيعة المستوى جيدة الأسلوب محلقة في سماء الفكر والأدب من خلال جدية الطرح وسمو الأفكار وجمال الأساليب، بينما نجد أعداداً أخرى تتسم بالسطحية والضعف أحياناً.

٣- كما يؤخذ على الملحق نشره لقصائد ضعيفة المستوى وربما بعضها غير موزون وخاصة في "إبداعات" بل بصورة ملونة ومكبرة وعلى النقيض من ذلك فهناك قصائد تنتشر في صفحة "إبداع" على أن أصحابها مازالوا مبتدئين مع أنها قصائد ذات قيم جمالية وفنية رائعة.

٤- ويحمد للأربعاء تعرضها لقضايا ثقافية مهمة في العصر الحاضر مثل قضية الحداثة والعولمة والفكر العامي حيث تلتقي بأقطاب الفكر والأدب وذوي التخصص في هذه المجالات وتناقش هذه القضايا بشكل أقرب إلى الموضوعية.

٥- كما يحمد لها إتاحة الفرصة للرأي والرأي الآخر من خلال الحوارات والردود الموضوعية في قضايا الثقافة والأدب مثل ما حصل بين حسن الهويمل وسعيد يقطين.

٦- يحمد لها كذلك أنها تنشر الشعر الأصيل وتتيح المجال لنقاد الأدب العربي والشعر الأصيل فكثيراً ما نستمتع بقصائد العشماوي وصالح الزهراني على صفحات ملحق الأربعاء، وكثيراً ما نحلق مع الأديب حسن الهويمل وغيره من نقاد الأصالة الذين



تحتضنهم الأربعاء وعلى كل فـ" الأربعاء" من الملاحق السعودية البارزة أدبياً وثقافياً، وهي جديرة بالمتابعة والاهتمام ولا يفوتني أن أنبه إلى أن هناك اهتمامات ثقافية في صحيفة المدينة إلى جانب ملحق الأربعاء وذلك مثل ملحق الرسالة الإسلامي بالإضافة إلى زوايا المدينة الثابتة مثل:

زاوية " من الجعبة " عبد الرحمن الأنصاري

زاوية " شكليات" عبد الإله محمد جدع

زاوية " ملح وسكر" سالم سحاب.

وزاوية " الفلك يدور" محمد صلاح الدين

إلى غير ذلك من الزوايا الثقافية الجديرة بالقراءة والاهتمام.

ثالثاً: صحيفة الرياض وملحق " ثقافة اليوم "

ملحق أسبوعي يعنى بالثقافة والإبداع يشرف عليه سعد الحميدين ويتكون هذا الملحق من ست صفحات عبارة عن لقاءات ومقالات ودراسات أدبية ونقدية وقصائد شعرية ونحت وفن تشكيلي.

١- التوسع والاستطراد في بعض المقالات المكتوبة على صفحات الملحق مما يؤدي إلى ملل القارئ وقلة القراء وانظر مثلا المقال المطول الذي كتبه عبد الله محمد الشهيل في هذا الملحق عدد الخميس ٦ ذي الحجة ١٤٢١هـ العدد ١٩٣٨ بعنوان:التاريخ الأسطورة الدراما وتحدث عن الزير سالم " أبو ليلى المهلهل " بشكل مطول جداً.

٢- الملحق يميل إلى أصحاب المدرسة الحداثية بشكل أكثر من غيره.

ومما يجب ملاحظته أنه لا يحكم على الجانب الثقافي في صحيفة الرياض من خلال ملحق "ثقافة اليوم" فقط وهو ما يجب أن ينطبق على بقية الصحف كذلك، بل إن هناك صفحات ثقافية رائعة ومقالات وزوايا ثابتة ربما تفوق الملحق الثقافي من الناحية الثقافية وأضرب على ذلك مثالاً بصفحتي حروف وأفكار في صحيفة الرياض حيث أرى من وجهة نظري الخاصة أنها أفضل بكثير من ملحق "ثقافة اليوم " في الطرح الثقافي حيث المقالات الرصينة والرؤى الواعية والعمق أو الجدية في المقالات التي تنشر في هاتين الصفحتين وانظر مثلا مقال عبد الله الجعيثن بعنوان: أفكار في شعر الشافعي في عدد ١١٩٦٣ ومقال جهير المساعد بعنوان:" ورقة ورد" في عدد ٣ محرم ١٤٢٢هـ حيث تجد جمال الأسلوب وعمق الأفكار ومن الزوايا الثابتة تقريباً في "حروف وأفكار" زاوية " أصوات" محمد رضا نصر الله، زاوية ربيع الحرف " نورة خالد السعد، وزاوية " للعصافير فضاء" نجوى هاشم وغيرها من الزوايا، ومن الزوايا التي تصب في الجانب الثقافي في صحيفة الرياض زاوية حول العالم التي يكتبها فهد عامر الاحمدي وهو كاتب ذو فكر واسع وأسلوب رائع.

رابعاً: صحيفة " الجزيرة"

للجزيرة ملحق ثقافي يومي وهو عبارة عن صفحة



واحدة بعنوان "الثقافة" بالإضافة إلى ملحق أسبوعي يصدر كل خميس بعنوان "الثقافة "

١- وأهم ما يميز ملحق الجزيرة تلك المزاوجة التي تظهر في الملحق بين الأصالة والحداثة وإتاحة الفرصة لكلا التوجيهين.

٢- يلحظ على ملحق الجزيرة الاهتمام الجاد بالجوانب النقدية.

وبالإضافة إلى ملحق الجزيرة الثقافي هناك صفحتان بارزتان ثقافياً هما صفحتا "مقالات" حيث إن فيها كتابات جميلة وأقلاماً مبدعة في الغالب ومعظم الكتابات فيها عبارة عن زوايا ثابتة لكتاب مشهورين مثل: زاوية: نوافذ/ أميمة الخميس وشمس العصافير/ناهد باشطح وضحى الغد/ عبد الكريم الطويان ودموع من أجل السلام/ منى الذكير، وغير هؤلاء من الكتاب وهناك زوايا ثابتة في غير الملحق وفي غير صفحتي المقالات تصب في الجانب الثقافي من ذلك: زاوية منازل: على بافقيه، وعلى ضفاف الواقع: غادة الخضير وزاوية: لما هو آت/ خيرية السقاف وهي زاوية جميلة تدل على كاتبة متميزة وأسلوب رفيع.ولا ننسى ملحق الجمعة الإسلامي في الجزيرة بعنوان:"آفاق إسلامية" وهو مكون من ثلاث صفحات ويصب كذلك في بحر الثقافة.

خامساً: البلاد وعدد الجمعة المتميز:

كان عدد الجمعة من صحيفة البلاد عدداً متميزاً ثقافياً وفكرياً وأدبياً مع ما عليه من ملحوظات فنية فمن



الثقافة في الصحف السعودية مطالعات ورؤى

صفحات هذا العدد ملحق " التراث" الذي يشرف عليه أثناء هذه المطالعات الخاصة محمد يعقوب تركستاني وهو مكون من أربع صفحات عبارة عن مقالات وتحقيقات وقصائد تراثية لشعراء قد رحلوا عن الدنيا ومما يؤخذ على الملحق ميله إلى الأسلوب العلمي في الطرح مما يجعل الملحق يميل إلى الروتين والجفاف ولا يناسب القارئ العادي الذي تستهدفه الصحيفة بل ربما حتى المتخصص قد يجد فيه الملل والرتابة فمثلاً من موضوعاته:" دراسة عن التعريب بين النظرية والتطبيق" وقفة مع قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة" "شخصيات رائدة في المكتبات والمعلومات" "وفيات الأعيان في البلد الحرام" حيث تجد في هذه الموضوعات الرتابة وعدم الجاذبية للقارئ من وجهة نظري وقد لاحظت اختفاء الملحق في الأعداد الأخيرة وبالذات في شهر ربيع الآخر من عام ١٤٢٢هـ، ومع ذلك فقد كان عدد" الجمعة" متميزاً حيث يخصص العدد أحياناً صفحة تنشر فيها قصائد لمشاهير الشعراء المعاصرين أمثال العشماوي وصالح الزهراني وهناك مكاشفات عبد العزيز القاسم التي تفتح المجال لوجهات النظر حول فكر مفكر أو أدب أديب معين بعد أن تجري معه حواراً جاداً ومكاشفة صريحة ومن ثم تتيح الفرصة للمعارضين للرد على بعض أفكاره وطروحاته في أعداد أخرى كما فعلت مع تركي الحمد وسعيد السريحي وطيب تيزيني وعوض القرني وعبد الرحمن العشماوي كما يحمد لعدد الجمعة إتاحة الفرصة لشعراء ونقاد الأدب الإسلامي في النشر فكثيراً



ما كنا نحلق مع قصائد العشماوي أو صالح الزهراني أو غيرهم من شعراء الأدب الإسلامي ونستمتع بذلك الأدب المرموق منشوراً على صفحات البلاد الجمعة، أو نقرأ لرواد النقد الإسلامي والمنافحين عنه ضد التيارات النقدية الوافدة على صفحات هذا العدد المتميز أيضاً أمثال حسن الهويمل وسعيد الغامدي وغيرهم، ومع ذلك فما زلنا نطمع في المزيد.

سادساً: صحيفة الندوة:

للندوة ملحق أدبي كان يصدر من عدة سنوات باسم: الملحق الأدبي" يشرف عليه محمد المفرجي ثم عدل اسمه إلى اسم " جياد " بعد أن تغير المشرف عليه ثم عاد إلى اسم " الملحق الأدبي" وأخيراً أصبح يصدر بعنوان:"الناس بإشراف عدنان المهنا وهو ملحق اجتماعي فني أدبي ويصدر كل يوم أحد كعادته وملحق الندوة الأدبي كان متميزاً أثناء إشراف محمد موسم المفرجي عليه لعدة أعوام، وبعد أن تحول الإشراف إلى غيره بدا على الملحق الاضطراب والضعف وكثرة التغيرات في الشكل وفي المضمون فنجده أحياناً يفتح المجال للقصائد الشعبية مع أن الملحق ليس مكاناً لها وانظر عدد الأحد ٧ محرم ١٤٢٢هـ العدد ١٢٩٠٥ حيث نشر الملحق قصيدة شعبية للشاعر الشعبي خالد عتيق العتيبي وأحياناً يفتح المجال لأدباء الحداثة وأحياناً نجد الملحق متألقاً أسلوباً ومعنى، حيث نجد فيه جدية الطرح وجمال الأسلوب وحسن اختيار القصائد والمقالات كما في عدد ٣٠ ذي الحجة

١٤٢١هـ العدد ١٢٨٩٩ حيث نجد في هذا العدد قصيدة: يا دعاة الحق للشاعر على أبو العلا وهي عمودية، ونجد في زاوية تحرير الكلام لمحمد مريسي الحارثي مقالاً جميلاً حول القصيدة العربية المعاصرة ونجد في العدد أيضاً بعض القصائد الجملية والأخبار الثقافية المنوعة والخواطر المتألقة مما أضفى على الملحق جمالاً وإمتاعاً والملحق يبدو عليه الاضطراب وعدم الثبات على حال واحدة.

سابعاً: صحيفة اليوم:

لها ملحق ثقافي يصدر كل اثنين بعنوان:" اليوم الثقافي" إشراف شاكر الشيخ " حالياً " يهتم بنشر القصص القصيرة والمقالات والأخبار الثقافية والأدبية وهناك صفحة تهتم بالإبداع وهي بعنوان " أطيافه" تصدر كل سبت تهتم بأخبار المبدعين ونشر إبداعاتهم كما في عدد السبت ١٠ربيع الأول ١٤٢٢هـ عدد ١٠٢١٤ حيث أجرت الصفحة لقاء مع القاصة والكاتبة فوزية الجار الله ومن الزوايا والكتابات التي تصب في بحر الثقافة في صحيفة اليوم. زاوية أفكار صحفية/خليل الفزيع: وزاوية أفكار طارئة يكتبها سلطان بن خالد بن حثلين في الصفحة الأخيرة وزاوية بوضوح الشمس/نجيب الزامل وزاوية على نار/ البندري الشعلان وهي في الصفحة الأخيرة.

ثامناً: صحيفة الوطن:

لعل من الموضوعية والإنصاف القول بأن صحيفة



الوطن أقرب الصحف المحلية تطبيقاً للمفهوم الشامل للثقافة حيث تندرج تحت " ثقافة الوطن" الصفحات التالية ١- دين ودنيا ٢- شعوب وتقاليد، ٣- تراث الأمة، ٤- علوم العصر، ٥- شؤون ثقافية.

وهي صفحات يومية وإذا كنا في الصحف الأخرى ندرج بعض الصفحات والزوايا داخل دائرة الثقافة مع أنها تقع خارج إطار الصفحات والملاحق الثقافية فإن صحيفة الوطن جعلت تلك الصفحات تندرج موضوعياً تحت مسمى الثقافة ضمن منهجها الثقافي وهذا أمر يحسب لصالح صحيفة الوطن وملحقها الثقافي.

ومما يحمد للوطن أيضاً الجرأة والقوة في الطرح الثقافي أيا كان نوع الموضوع الذي تطرحه وحتى لو كان معارضاً لثقافة المجتمع السائدة كما في قضية قيادة المرأة السيارة وبعض القضايا الحديثة.

والوطن تحتفي برموز المدرسة الحداثية وتتيح لهم الكتابات على صفحاتها أكثر من غيرهم كما تفعل زميلاتها بعض الصحف المحلية ومع ذلك فقد تنشر الوطن شعر أصيلاً على صفحاتها مثل نشرها قصيدة لعبد الكريم الجهيمان في عدد ١٠٣ وقصيدة لصالح عون الغامدي في عدد٢٠١ والوطن تميل في طرحها الثقافي للإثارة وجذب القارئ لموضوعاتها الساخنة.

الخاتمة

بعد أن عشت مع الصحف السعودية وبالذات مع الجوانب الثقافية فيها من ملاحق ثقافية وغيرها من



الصفحات والزوايا التي تهتم بالثقافة وطالعت نماذج من كل صحيفة في تلك الفترة التي استهدفت بالدراسة توصلت إلى الملحوظات والرؤى المشتركة حول تلك الملاحق والتي أجملها فيما يلي:

١- هذه المطالعات والرؤى محددة بزمن معين وهو مطلع عام ١٤٢٢هـ فليس بالضرورة أن تبقى الرؤى والملحوظات المتعلقة بكل صحيفة وملحقها الثقافي ثابتة مدى الأزمان فقد تتغير هذه الرؤى والملحوظات بتغير النهج الثقافي الذي تسلكه كل صحيفة وملحقها الثقافي سلباً أو إيجابياً.

٢- الثقافة في الصحف السعودية قطعت شوطاً لابأس به من أجل الرقي بوعي القارئ ثقافياً وفكرياً وأدبياً سواء من خلال الملاحق الثقافية أو غيرها من الصفحات الثقافية ولكنها بحاجة إلى المزيد.

٣- تخصيص الثقافة بملاحق ثقافية خاصة في كل صحيفة يعد حجراً على الثقافة وأرى أنه عمل غير موضوعي فالثقافة أشمل وأوسع من هذه الملاحق.

٤- كان الأجدر أن تخصص هذه الملاحق للإبداع الأدبي ويسمى كل ملحق مثلاً بـ" الملحق الأدبي" أو " ملحق إبداع" كما فعلت بعض الصحف حتى يتطابق العنوان مع المضمون.

٥- هناك اضطراب في بعض هذه الملاحق من حيث المضمون أو الشكل حسب تغير المشرف على الملحق في أوقات متقاربة أو عدد الصفحات أو تغير مسمى الملحق أو اختفاء الملحق في بعض الأعداد مما يوحي



بالاهتزاز والضعف وعدم مصداقية الملحق والصحيفة أمام القارئ.

٦- ضعف المادة الثقافية التي يسعى لها القارئ لدى بعض الملاحق.

٧- ظهور الاتجاهات الأدبية المعاصرة في الملاحق الثقافية مثل الاتجاه الحداثي واتجاه الأدب الإسلامي وغيرها.

٨- بروز دور المرأة السعودية المثقفة في هذه الملاحق أو في الصحف السعودية عموماً مما يدل على الوعي الثقافي لدى المرأة السعودية.

والله من وراء القصد والهادي من وراء السبيل.

أول مجلة تصدر في العهد السعودي

مجلة الإصلاح.. ومحمد حامد الفقي

بقلم/
محمد بن عبد الرزاق القشعمي*

• كاتب سعودي،

بعد أن استتب الأمن وبسط الملك عبدالعزيز نفوذه على مملكة الحجاز وضمها إلى سلطنة نجد، تطلع كثير من الدعاة والمصلحين في الدول العربية المجاورة إلى نصرته ومساندة دعوته مثل المشايخ محمد رشيد رضا ومحمد حامد الفقي ومحمد بهجت البيطار وغيرهم الكثير.

قدم الشيخ محمد حامد الفقي رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر عام ١٣٤٦هـ إلى مكة المكرمة.. حيث أصدر مجلة "الإصلاح" التي صدر عددها الأول في شهر صفر من عام ١٣٤٧هـ. ويذكر الدكتور علي جواد الطاهر(١) "الشيخ محمد حامد الفقي مصري عاش في المملكة نحو سنتين" ١٣٤٦-١٣٤٩هـ" وأصدر خلالهما مجلة "الإصلاح"، ثم حدث منه ما دعاه إلى العودة إلى مصر، فتولى جماعة أنصار السنة، ولصلته القديمة استطاع أن يتولى طبع عدد من المؤلفات على نفقة الملك وولي عهده وغيره من الأمراء والأعيان،" و"لأنه يقوم بنشر العقيدة السلفية في مجلته وفي محاضراته وخطبه" "جواب للشيخ حمد الجاسر عن سؤال وجهته إليه في رسالة خاصة"، ويذكر رضا كحالة في معجمه ج٧ " أن الفقي ولد بإحدى قرى البحيرة بمصر سنة ١٣٠٩هـ، وأنه التحق بالأزهر "وحصل على



شهادته العالمية وأسس جماعة أنصار السنة المحمدية، وقد توفي سنة ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م" وينقل الطاهر عن الفوزان ٢/٥٧٧-٥٧٨" مصري الأصل.. استقطبه حكم الملك عبد العزيز.. وساهم بإصدار مجلة "الإصلاح" مع رعيل الأدب الحجازي، وساهم بالتدريس بالحرم المكي والمعهد العلمي بها"

وقال أديب مروة (٢) "الإصلاح: جريدة أسبوعية أصدرها محمد حامد الفقي في مكة المكرمة عام ١٩٢٨م وظلت تصدر إلى ما بعد عام ١٩٣٣م ولكنها توقفت عن الصدور فيما بعد".

ونجد الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ(٣) يقول: "..وكان أول ما ظهر في هذه الفترة من مجلات هي مجلة "الإصلاح" التي صدرت في مكة في ١٥-٢-١٣٤٧هـ/١ أغسطس ١٩٢٨م"، والتي أعلنت بأنها "صحيفة دينية علمية اجتماعية أخلاقية". وقد تولى الشيخ محمد حامد الفقي أحد علماء الأزهر ورئيس شعبة الطبع والنشر بمكة إدارتها والإشراف على تحريرها وتمسكت "الإصلاح" بما أعلنته من أهداف صحفية، فخصصت صفحاتها للمناقشات الدينية والمواعظ الأخلاقية، ولم تول ميداني الأدب والسياسة شيئاً من اهتمامها.

لم تكن "الإصلاح" مجالاً لعدد كبير من الأقلام، بل كانت تعتمد فيما تنشره من مقالات على ما كان يسهم به نفر من الكتاب المحليين وعدد من كتابها غير المحليين، كما أن بعض مقالاتها كانت تنشر بدون توقيع مما يشير



إلى أنهــا من إنشـــاء المحــرر. وإلـى جــانب ذلك كــانت "الإصلاح" تنشر فصولاً من المؤلفات الدينية، وتنقل بعضاً من المقالات التي تنشر في الصحف والمجلات الإسلامية. وكانت تهتم بأحوال العالم الإسلامي وتخصص - أحياناً- باباً لأخبـاره. وتتسم المجلة بالبسـاطة في إخـراجـهـا وتبـويبـهـا، وبتـوافـر عناصـر الأسلوب العـربي التـقليـدي الجـزل في مـوادهـا ومـقـالاتهـا كمـا أنهـا لم تكن تخلو من المقـالات المسجـوعـة كـتلك التي كـان ينشـرهـا - في بعض الأحيان - أحمد إبراهيم الغزاوي.

أول مجلة تصدر في العـــهـــد الســـعـــودي مجلة الإصلاح.. ومحمد حامد الفــــقي

كـانت مـجلة "الإصــلاح" تصـدر في أربع وعـشــرين صفحة في سنتها الأولى، أما في السنة الثانية فقد صغر حـجـمـهـا ولكن أعـدادهـا قـد أصـبـحت تطبع في أربعين صـفـحـة. وقـد بلغت صـفـحـات مـجلد السنة الأولى ٤٦٢ صـفـحـة، أمـا مـجلد السنة الثـانيـة فـقـد بلغت صـفـحـاته ٦٨٠, وكان من المفـروض أن تصـدر "الإصـلاح" مـرتين في الشـهـر، إلا أنهـا لم تكن تملك مطبـعـة خـاصـة بهـا، و إنمـا كانت تعتمد على المطابع التجارية في مصر والحـجاز لذا كـانت تعـاني أحـيـانـاً مـن الاضطرابات في مـواعـيـد صـدورها، وكـانت تطبع تارة في المطبـعـة السلفـيـة بمكة. ولم تصـدر المجلة سـوى ثمـانيـة عـشـر عـدداً في سنتـهـا الأولى، وسـبـعـة عشـر عـدداً في السنة الثـانيـة، وقـد عـزا المحــرر مــا في أعــدادها من نقص إلى ضـعـف الوســائل الطباعية في مكة.

إن تاريخ انقطاع "الإصلاح" عن الصدور غير معروف، فليس في العـدد السـابع عـشـر "١-٢-١٣٤٩هـ/٢٧-٦-

١٩٣٠م" الذي هو آخر أعداد السنة الثانية وآخر ما يوجد الآن -كما أعلم- من أعدادها ما يشير إلى أن المجلة كانت تنوي أن تحتجب عن الصدور، بل إن فيه ما يوحي بعزم المحرر على الاستمرار في نشرها. ومهما يكن، فإنه يبدو أن "الإصلاح" لم تعش بعد هذا طويلاً ذلك لأن جميع ما اطلعت عليه من مجموعاتها إنما يكون من مجلدي السنتين الأولى والثانية، وذلك لأن محمد سعيد العامودي يؤكد بأنها قد "توقفت عن الصدور في عام ١٣٤٩هـ" أما عثمان حافظ(١) فيذكر: مجلة "الإصلاح" هي أول مجلة صدرت في العهد السعودي وثاني مجلة صدرت في هذه البلاد بعد مجلة "جرول الزراعية.

وهي صحيفة دينية، علمية، اجتماعية، - وتصدر مرتين في الأسبوع - كما أشير إلى ذلك في المجلة - إلا أنها لم تتقيد بالصدور مرتين في الأسبوع (ربما يقصد في الشهر) فإن ما صدر منها في سنتها الأولى ١٨ عدداً وما صدر في سنتها الثانية ١٧ عدداً.

وقد أشار رئيس تحريرها - إلى عدم انتظام صدورها مرتين في الأسبوع في العدد الصادر برقم ١٧ المؤرخ ١صفر ١٣٤٩هـ- فقال: إن سبب عدم انتظام صدورها في المواعيد المحددة يرجع إلى عدم وجود مطابع بمكة تؤمن صدورها بانتظام.

وقد أصدرت مجلة الإصلاح شعبة الطبع والنشر بمديرية المعارف العامة بمكة المكرمة وصدر العدد الأول منها يوم الأربعاء ١٥ صفر عام ١٣٤٧هـ وشعار المجلة "إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله".

أول مجلة تصدر في العهد السعودي مجلة الإصلاح.. ومحمد حامد الفقي

ويتكون العدد الأول من ٢٤ صفحة على مقاس ٢٨× ٢٠سم، وقد صغر حجمها في سنتها الثانية فأصبح ٢٤×١٦ إلا أنها زادت عدد صفحاتها فأصبحت ٤٠ صفحة. وقيمة الاشتراك السنوي ٣ ريالات سعودية في الداخل ونصف جنيه إنكليزي في الخارج.

والمجلة تعنى بالشئون الدينية أكثر من عنايتها بأي مادة أخرى وتشتمل على تفسير القرآن والأحاديث النبوية والمواعظ الدينية وأخبار العالم الإسلامي والخارجي في بعض الأحيان.

وفكرة إصدار مجلة الإصلاح.. أوضحها رئيس تحريرها الأستاذ الفقي - رحمه الله - في افتتاحية العدد الأول منها - حيث قال: إنه كان يتمنى صدور صحيفة دينية علمية تضم صوتها إلى صوت المصلحين.. وتتعاون وإياهم على ما هم بسبيله من دعوة إلى الحق وإرشاد إلى الإصلاح بما يقوى به على مقاومة الفساد، وجاء في الافتتاحية أيضاً.." إنه عندما سنحت له الفرصة بمقابلة جلالة الملك عبد العزيز يرحمه الله" تحدث إليه عن إصدار مجلة دينية تقوم بالإرشاد والتوجيه الديني فوافقه على ذلك ووعده بالمساعدة.

وقد صدرت المجلة على أن تؤدي واجبها الديني في تنمية الوعي الديني بين طبقات الشعب.

طبع المجلة:

طبعت مجلة الإصلاح - في أول صدورها - بالمطبعة السلفية بمصر لصاحبها" محب الدين الخطيب وعبد



الفتاح قتلان" ثم نقلت طباعتها إلى مكة المكرمة - بالمطبعة الماجدية - وبعد أن أسست المطبعة السلفية بمكة المكرمة - التي أسسها الشيخ محمد صالح نصيف بالاشتراك مع الشيخ عبد الفتاح قتلان نقلت طباعتها إلى هذه المطبعة.

توقف المجلة:

لا يعرف بالضبط التاريخ الذي توقفت فيه مجلة الإصلاح عن الصدور ولكن العدد ١٧ من السنة الثانية المؤرخ شهر صفر سنة ١٣٤٩ هـ الموافق ٢٧ يونيو سنة ١٩٣٠م. هو آخر عدد استطعت الاطلاع عليه وهو آخر عدد في مجلدها الثاني - ويقول فضيلة الشيخ محمد حسن نصيف - رحمه الله -: إنه يظن أن هذا العدد هو آخر عدد صدر من الإصدار.

وفي موجز تاريخ الصحافة - يقول محمد بن عباس:" مجلة الإصلاح، العدد الأول:

- ❖ الطول = ٢٨ سم تقريباً.
- ❖ العرض = ٢٠ سم تقريباً.
- ❖ صدر العدد الأول في ١٥ من شهر صفر سنة ١٣٤٧هـ.
- ❖ صدرت شهرية ثم نصف شهرية.
- ❖ عدد صفحاتها = ٢٤ صفحة.
- ❖ مديرها المسئول: الأستاذ محمد حامد الفقي.

تاريخها الموجز:

صحيفة علمية اجتماعية أخلاقية تصدر في مكة

أول مجلة تصدر في العهد السعودي مجلة الإصلاح.. ومحمد حامد الفقي

المكرمة مرتين كل شهر، عدد صفحات الجزء منها أربع وعشرون صفحة من القطع الكبير مديرها الأستاذ محمد حامد الفقي - خريج الأزهر- ورئيس شعبة الطبع والنشر بمكة. وقيمة الاشتراك السنوي فيها ثلاثة ريالات سعودي في الداخل ونصف جنيه انكليزي في الخارج وقد صدر العدد الأول منها في ١٥ صفر سنة ١٣٤٧هـ.

وأما موضوع المجلة فهو الإصلاح الإسلامي كما يدل عليه اسمها. وقد ذكر مديرها في فاتحة الجزء الأول منها أنه كان يتمنى أن يصدر صحيفة دينية علمية " تضم صوتها إلى صوت المصلحين وتتعاون وإياهم على ما هم بسبيله من دعوة إلى الحق والإرشاد إلى الصلاح" وذكر أن اتساع دائرة الفساد تدعو إلى إمداد جيش الإصلاح بما يقوي به على مقاومة هذا الفساد - ثم ذكر أنه لما سنحت له الفرصة بمقابلة جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن تحدث إليه بذلك فوافقه الرأي ووعده بالمساعدة - وقد نشره بنصه - فالتزم ذلك وشرع فيه وقد ظلت تصدر إلى ما بعد عام ١٩٣٣م ثم توقفت عن الصدور.

كما درجت في بعض أعدادها على إصدار عددين في مجلد واحد.

وبالاطلاع على العدد الرابع من السنة الأولى نجده بحجم ٢٧×١٩سم من ٢٤ صفحة - عدا الغلاف - وقد كتب في أعلى الغلاف " العدد الرابع" السنة الأولى ثمن العدد قرشان " إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله " وفي وسط الغلاف كتب بخط عريض "



الإصلاح " وعلى يمين العنوان كتب " المراسلات" باسم مدير الصحيفة محمد حامد الفقي من علماء الأزهر الشريف رئيس شعبة الطبع والنشر بمكة" وعلى يسار العنوان كتب" الاشتراكات في الحجاز ونجد وملحقاتها ثلاثة ريالات سعودية وفي الخارج نصف جنيه إنجليزي".

وتحت العنوان كتب " صحيفة دينية علمية اجتماعية أخلاقية" تصدر مرتين في كل شهر مؤقتاً، مكة المكرمة: يوم الأحد ١٥ ربيع الثاني سنة ١٣٤٧ هـ الموافق ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٢٨م.

وتضمن العدد:" تفسير القرآن الحكيم" بقلم شاه ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي و " الإرشاد " لمحمد عبد العزيز الخولي مدرس الشريعة الإسلامية بمدرسة القضاء الشرعي. و " عرفنا الحق فاتبعناه " بتوقيع حضرمي مخلص.

فإعلان " الهداية الإسلامية " جمعية الهداية الإسلامية في مقدمة الجمعيات الإسلامية التي تأسست في مصر وأخذت على عاتقها الدفاع عن حوزة الإسلام وإعادة بنيه إلى حظيرته الآمنة.. وستصدر مجلة باسمها..

ثم موضوع " كلام الملوك ملوك الكلام" بقلم محمد أحمد عثمان، عضو بجمعية مكارم الأخلاق الإسلامية بالقاهرة.

و" كيف يجب تقدير مجلة الإصلاح" بقلم محمد عبد الله التنبكتي، المدرس في الحرم النبوي ومدرسة العلوم الشرعية.

ويختتم العدد بنشر " منشور " كتبه الإمام سعود الكبير بن عبد العزيز عند دخوله مكة المكرمة في سنة ١٢٢٥هـ رداً على ما كتبه إليه سليمان باشا والي الشام من قبل الحكومة العثمانية وفي آخر المنشور كتب علماء مكة وأعيانها وعلى رأسهم الشريف غالب بالموافقة على ما في هذا المنشور، وكذلك كتب تحت كتابة أهل مكة أهل المدينة المنورة من علماء وأعيان ووقع الجميع بأختامهم وخطوطهم بالموافقة وقد أخذت صورة هذا المنشور بآلة التصوير من أصله الذي كان عند الوجيه الفاضل الشيخ محمد نصيف..."

وفي آخر صفحة كتب" المطبعة السلفية - بمصر - لصاحبها محب الدين الخطيب وعبد الفتاح قتلان.

وفي ظهر الغلاف نجد فهرس العدد وكلاء الصحيفة في الداخل وفي مصر " قد عينت إدارة صحيفة " الإصلاح " وكيلاً لها في المدينة المنورة الشيخ عبد القدوس الأنصاري، وفي جدة الشيخ إبراهيم طاش، وفي الطائف الشيخ عمر بن محمد عرب، وفي مصر المطبعة السلفية ومكتبتها بشارع الاستئناف. فكل من أراد الاشتراك في الصحيفة أو مشتراها فعليه مراجعة المذكورين. وتباع بمكة المكرمة بباب السلام بمكتبة الشيخ إبراهيم الكتبي الهندي، وفي الجودرية بدكان الشيخ عبد الله الصنيع ".

وخبر عن اعتزام تأسيس فرع للمطبعة السلفية ومكتبتها بمكة المكرمة بشراكة الفاضل الوجيه الشيخ محمد صالح نصيف - وسيتولى إدارة الفرع بمكة السيد عبد الفتاح أفندي قتلان.

أول مجلة تصدر في العهد السعودي مجلة الإصلاح.. ومحمد حامد الفقي



وبإلقاء نظرة على آخر عدد وقفت عليه ج ١١ م٢ نجده وقد صغر حجمه ليصبح ٢٣×١٥ سم والصادر بغرة ذي القعدة ١٣٤٨ هـ ٣٠ مارس ١٩٣٠ م ويتضمن العدد المواضيع التالية:

- تفسير القرآن الحكيم.
- الحج - م. ح. الحجازي.
- الدعوة إلى الله تعالى/ عبد الظاهر أبو السمح إمام الحرم المكي الشريف وخطيبه.
- العقود الدرية - حسبي الله ونعم الوكيل.
- عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقلم الدكتور أحمد رفاعي بك.
- التجدد - مكة.ح.با.
- المرحوم ناصر الدين دينيه.
- باب الأدب. مساجلة بين شاعرين شاعر الحجاز الشيخ أحمد إبراهيم الغزاوي وشاعر الكويت الشيخ محمود شوقي الأيوبي.
- جواب الإصلاح للشيخ صقر بن سالم الشاعر الكويتي.
- ضيوف مكة الأكرمون.
- تحية " أم القرى " لصديقها البار الشيخ عبد الرحمن القصيبي.
- الامتحانات الختامية في المدارس الحجازية، ولطرافة هذا الموضوع سأختاره ليطلع عليه القارئ الكريم:

بدئ في الامتحان الختامي لسنة ١٣٤٨هجرية الدراسية بالمدارس الأميرية في يوم السبت الخامس عشر من شهر شوال. وفي يوم الخميس ٢٧ منه كان ختام

الامتحان الشفوي بالمعهد العلمي السعودي، إذ كان الاختبار في مادة التربية العلمية وختام الامتحان التحريري في المدارس الابتدائية بالمسعى وبجدة والوجه وينبع والمدينة المنورة والطائف، أما مدارس الصفا والشبيكة والمعلاة وحارة الباب وجدة والمدينة المنورة وبقية الملحقات التحضيرات فقد انتهى التحريري والشفوي قبل ذلك. ويظهر من مباشرة حركة المتحنين أن النتيجة باهرة جداً خصوصاً في المعهد السعودي الذي ظهر أن الناجحين به تسعون بالمائة أو أكثر، وذلك لأن رجال الحكومة موجهون له عناية كبيرة، كذلك في المدارس الابتدائية، ويمكن للقارئ أن يستدل بذلك على نشاط الروح العلمية في المعارف الحجازية هذا العام، وأنها سائرة بفضل الله ثم بعناية رجال الحكومة السنية وعلى رأسهم صاحب السمو الملكي الأمير فيصل الذي لا يدخر وسعاً في بذل كل معونة ومساعدة وتنشيط للعلم وأهله.

أما المدارس الأهلية الفلاح بمكة وجدة والمدرسة الصولتية والفائزية والفخرية بمكة فسيكون الامتحان بها في غرة القعدة. كلل الله سعي الجميع بالفوز والنجاح، وأطال الله عمر جلالة الملك المعظم وسمو نائبه الأفخم الذين في عهدهم نالت العلوم بالحجاز هذه العناية التي ما كان أحد يحلم بها.

وقد صادفت هذه العناية أرضاً خصبة إذ وجدت من ناشئة الحجاز ذكاء طبيعياً نادراً وانكباباً على الطلب محموداً، ومن أولياء أمورهم تقديراً للعلم ورغبة كبيرة في تثقيف التلاميذ.

أول مجلة تصدر في العهد السعودي مجلة الإصلاح.. ومحمد حامد الفقي



جازان في عيون الرحالة

بقلم/
أحمد بن عمر الزيلعي*

لقد كان لوصول كثير من الرحالة إلى الجزيرة العربية وتدوينهم مشاهداتهم وجولاتهم التي تناولت أوجه الحياة المختلفة أثره الكبير في إعطاء معلومات هامة عن الجزيرة العربية.

ويلاحظ أن كثيراً من المعلومات التي دونها الرحالة تنقصها الدقة والأمانة العلمية ويحكمها الهوى بالإضافة إلى جهلهم بهذه البلاد ومعتقداتها وحياتها الاجتماعية، مما جعلهم يدونون كثيراً من المعلومات عن مشاهداتهم لسلوكيات وتصرفات أبناء الجزيرة العربية دون محاولة معرفة دوافع هذه التصرفات(١).

وكان المخلاف السليماني (منطقة جازان) من مناطق الجزيرة العربية التي زارها بعض الرحالة والجغرافيون ودونوا عنها مشاهداتهم وهي بلا شك معلومات مهمة بحاجة إلى الدراسة على ضوء المصادر التاريخية المتاحة.

والعدد القليل الذي زار المخلاف السليماني (منطقة جازان) من الرحالة الذين يمكن الإفادة مما دونوه من معلومات وهي على جانب كبير من الأهمية ومن هؤلاء الرحالة:

١- دي فارتيما (Lodovico Di Varthema) أو الحاج يونس المصري:

رحالة إيطالي، من أقدم الرحالة الأوربيين إلى جزيرة

• كاتب سعودي.



العـرب، قـام بـرحلتـه هذه إلـى كل من مـصـر، والشـام، والجـزيرة العربية، فـارس، والهند، وأثيـوبيا فـي الفتـرة من ١٥٠٣- ١٥٠٩م(٩٠٨-٩١٥هـ) وطبعت باللغة الإيطالية في سنـة ١٥١٠م(٩١٦هـ)، ثم ترجـمـت إلى اللغـة الإنجليـزية، وطبعت في نيويورك سنة ١٨٦٢م، ونقلها إلى العربية عبد الرحمن عبد الله الشيخ بعنوان: رحـلات فارتيمـا: وطبعت في القاهرة عام ١٩٩٤م/١٤١٤هـ.

وهي رحلة طويلة في مـسـارها، ولكنهـا مـوجـزة في مـعلومـاتها بما فـيهـا تلك التي ذكرها عن مدينة جـازان السـاحليـة التـي لم يزر سـواها من أجـزاء المنطقـة، فـقـد أظهـر دي فـارتيمـا هذه المدينة التي مكث فيهـا ثلاثة أيام للتـزود بالمؤن اللازمة، على نحو رائع حينمـا يصفهـا بأنهـا مـينـاء جـمـيل على سـاحل البحـر الأحـمـر، وأنه وجـد به خمساً وأربعين سفينة من بلاد مختلفـة، والمدينة على حد قوله: تمثل منطقة مثمرة جداً ذات منظر خلاب.. يوجد بهـا عنب، وخـوخ، وسـفـرجـل، ورمـان، وثوم له رائحـة نفـاذة جـداً، وبصل طيب، وجـوز، وبطيخ، وورود، وأزهـار، وتين، ويقطين، وأترج، وليمـون، وبرتقال حـامض، ولكل هـذا فهي فـردوس" يضـاف إلى ذلك مـا ذكـره فـيـهـا مـن وفـرة في اللحوم والغلال، والشعير والذرة البيضـاء التي يصنع منها - على حد قوله - "خبز جيد".

وعلى الـرغم من هذا الـوصف الرائع والرخـاء الواضح في مـدينة جـازان فـإن دي فـارتيمـا لم يفـصل في وصف مينائهـا، وأسـواقهـا، ومـعـالمها العـمرانيـة التي كـانت عليهـا في ذلك الوقت.



٢- موريس تاميزيه:

رحالة فرنسي رافق الحملة العسكرية التي أرسلها محمد علي باشا، حاكم مصر، على عسير في سنة ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٩م، بوصفه كاتباً في هذه الحملة، وقد ساعده ذكاؤه، وإتقانه للغة العربية، وثقافته الواسعة على تدوين ملاحظاته عن الحجاز وعسير، ومن ثم نشرها باللغة الفرنسية سنة ١٨٤٠م (١٢٥٦هـ) في مجلدين أحدهما عن الحجاز والثاني عن عسير، وهذا المجلد الأخير هو الذي يهمنا، لكونه يتضمن فصلاً عن أبي عريش بوصفها عاصمة المنطقة في ذلك الوقت، وهذا المجلد ترجمه إلى اللغة العربية الدكتور محمد بن عبد الله آل زلفة، ونشره في الرياض عام ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

يتحدث تاميزيه في كتابه هذا بإسهاب عن منطقة أبي عريش في (منطقة جازان) مبيناً موقعها، وجغرافيتها، وامتدادها من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب، كما يتحدث عن الناس، وعن ألبستهم، ومعاشهم، ومساكنهم وأسواق المنطقة، ونشاطها الزراعي والتجاري، واختص مدينة أبي عريش بوصف شامل تناول فيه أسوارها وعمرانها وقلعتها المسماة دار النصر التي وصفها بأنها عالية جداً، وذات منظر جذاب، ولها فناء واسع في الوسط كما وصف حامياتها، وأسواقها، وبضائعها، ومزارعها وبيوتها، وآبارها، ومختلف منشآتها المعمارية، ومعالمها الحضارية مما لا يستغني عنه أي دارس لآثار المنطقة في الوقت الحاضر خاصة وأن بعض تلك المنشآت قد دثر، وما بقى منها في حالة غير جيدة تقريباً.



٣- أمين الريحاني:

رحالة أمريكي من أصل عربي لبناني زار منطقة جازان في سنة ١٣٤٠هـ، ١٩٢٢م في عهد الإمام محمد بن على الإدريسي، وهي حينذاك مملكة تشتمل على أجزاء واسعة من شمال اليمن. أفرد الريحاني لهذه المنطقة فصلاً في كتابه الضخم:(ملوك العرب) وهذا الفصل من أهم وأمتع ما كتب عن الإمام الإدريسي وعلاقته بالملك حسين في الحجاز والإمام يحيى في اليمن، والإمام عبد العزيز بن سعود في نجد وعسير، وكذلك علاقة الإدريسي مع القوى الخارجية، ولا سيما الإنجليز. ويتضمن الكتاب كذلك معلومات مفيدة عن وصف المنطقة، وعن أحوالها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية.

٤- سانت جون فيلبي:

رحالة إنجليزي كان من أشد المعجبين بالملك عبد العزيز، ومن أكثر الرحالة عشقاً لجزيرة العرب، والارتحال فيها. أقام بالمملكة العربية السعودية حتى وفاة الملك عبد العزيز، ثم انتقل منها إلى بيروت، وفيها توفي عام ١٣٨٠هـ، ١٩٦٠م.

نال فيلبي دعماً كبيراً من الملك عبد العزيز للقيام برحلاته التي غطت مختلف مناطق المملكة العربية السعودية، وظهرت نتائجها في مجلدات ضخمة أبرزها كتابه المعنون:) Arabian Highlands المرتفعات العربية الذي طبع في عام ١٩٥٢م -١٣٧٣هـ) وهذا الكتاب هو



الذي يعنينا، لأن مؤلفه أفرد منطقة جازان بجزء كبير منه. ومن أبرز ما تحدث عنه فيلبي ووثقه في المنطقة نقاط الحدود أو العلامات الحدودية الفاصلة بين المملكة واليمن والتي شملتها معاهدة الطائف الموقعة بين الجانبين في عام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م، ومنها جزء كبير في منطقة جازان.

بعد ذلك وصف فيلبي المنطقة وصفاً دقيقاً مبتدئاً إياها من المناطق الحدودية حتى دخوله إلى محافظة القنفدة التابعة لإمارة مكة المكرمة. وكما هو معروف عن دقة فيلبي في الوصف، واستقصائه لكل ما تقع عليه عينه من عمران، وزراعة، وصناعة، ونبات، وطيور، ولباس، وعادات، وخلافها...، ولعل مما يسترعي الانتباه، ويجدر ذكره بالنسبة للمهمتين بالآثار احتفاظ كتاب فيلبي بلوحة رائعة لمسجد الأشراف الجامع بمدينة أبي عريش التاريخية، وهو في حالة جيدة بقبابه الضخمة المتعددة، ومنارته الجميلة ذات الشكل المربع، وعقوده الرائعة في تصميمها وبنائها.

٥- ولفرد ثسيجر:

رحالة إنجليزي يوصف بأنه آخر عظماء الرحالة البريطانيين في البلاد العربية عمل في بعثة مكافحة الجراد، وتسنى له الارتحال إلى أنحاء واسعة من المملكة العربية السعودية، ومنها رحلته هذه التي قام بها إلى جنوب غرب المملكة في عام ١٩٤٥م(١٣٦٤هـ) والعام الذي يليه، ونشرها في مجلة الجمعية الجغرافية الملكية بلندن

عام ١٩٤٧م (١٣٦٦هـ) وترجمها الدكتور أحمد بن عمر الزيلعي إلى اللغة العربية:"بعنوان رحلة في تهامة وعسير وجبال الحجاز" ونشرها في مجلة الدارة عام ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

استطاع تشيجر خلال رحلته هذه أن يجوب معظم منطقة جازان، سهلها وجبالها وأن يصل إلى أمكنة ما سبقه إليها أحد من الأوربيين، ومنها جبال فيفا والريث، وأن يصل إلى أكثر الأمكنة عزلة وانقطاعاً وأن يقدم للقراء وصفاً دقيقاً لمجتمعات المنطقة ولأوضاعهم المعيشية وطبيعة أسواقهم والسلع التي تباع في تلك الأسواق، ونظم الزراعة والرعي والمحاصيل الزراعية، والحركة التجارية، والطرز المعمارية، ووصف البيئة النباتية، والحيوانية والطبيعية بما في ذلك أسماء الأمكنة، والجبال والأودية التي وصفها أيضاً وحدد أماكنها بدقة، كل ذلك مدعم بصور رائعة ونادرة حقاً.

---

(١) محمد عبد الهادي الشيباني، أهداف الرحالة الغربيين في الجزيرة العربية، بحث مقدم إلى ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية التي عقدت في دارة الملك عبد العزيز في الرياض، ص٥.



بندر جازان في القرن العاشر الهجري

بقلم/
عمر طاهر زيلع*

كـان لجـازان نصـيب من الذكـر في رحلة الرحـالة البـرتغـالي: لـود فـيكودي فـارتيـمـا، المخـتلف فـي أصله، فـقـد قـيل أنه (بولوني الأصل) وقيل: روماني الأصل، لكنه انتحل في رحلته اسم (لويس البولني)[1] خلال ذروة الاستكشافات البرتغالية في الشـرق وحـركـتـهـا الـتـجـارية البـحـرية وحـمـلاتهـا العسكرية على شواطئ أفريقيا والبحر الأحمر، والهند، في العقد الأول من القرن السادس عشر الميلادي، فقد بدأ من البندقـيـة بإيطاليـا عـام (١٥٠٣م/٩٠٩هـ) إلى مـصـر، ثم لبنان واسـتـقـر في سـوريا حـيث تعلم اللغـة العربية. واتجه إلى الحجاز مع قافلة يقودها ضابط من المماليك لأداء الحج، ولعله أسلم أو تظاهر بالإسلام فبلغ المدينة المنورة، وقـد دون مـشـاهداته كلهـا بما فـي ذلك وصف المسجد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام، كما كتب عن منى ومشـاعـر الحـج وشعـائره وأسـواق مكة وما فيها من سلع وجواهر ومواد غذائية، ثم احتال على رجال القافلة عند العودة متخفياً في منزل أحد التجار الذي أقنعـه بأنه مـسلم، وأنه سـيـسـاعـد المسلمين في صنع المدافع ضد البرتغاليين، فساعده على العودة متخفياً إلى جدة ومنها أبحـر على سـفينة متـجهـة إلى بحـر العـرب وفـارس[2]، ولعله كان يتـريث في مـوانئ البـحـر الأحـمـر ويدون مـشـاهداته، ومن ذلك وصـفـه للرحلة بين جـدة وكمران أو (قمران).

* كاتب سعودي.

وروي عنه أنه عرَّج على جازان وشاهد ميناءها الجميل الذي عدَّ فيه خمساً وأربعين سفينة، وأدهشه أن في البلدة: عنباً و(دراقاً) وسفرجلاً، وتفاحاً، ورماناً، وليموناً، وبرتقالاً، في وفرة جديرة بالجنة، ورأى كميات وافرة من اللحوم والحنطة والشعير، والذرة البيضاء التي يصنع منها الأهلون خبزاً ممتازاً، وأن الناس يمشون شبه عراة، لكنهم يعيشون (يتصرفون) كمسلمين - هكذا -...)[٣].

هذه المعلومة النادرة التي لم توردها - في علمي - كتب تاريخ المخلاف السليماني المتداولة بين الباحثين المستقاة من مراجع ومصادر مطبوعة أو مخطوطة، جديرة بالإعجاب وجديرة بالتوثيق أولاً من قبل المختصين في البحوث التأريخية والاجتماعية، ورغم أنني لست منهم بالمعنى (الأكاديمي) إلا أنني سأحاول مناقشته من منظورين.. أحدهما له صلة بالدراسات الجغرافية ذات الصلة بالسكان والمحاصيل ونوعيات المنتجات الزراعية وما إلى ذلك، فمن المعروف أن الذرة بكل أنواعها تعد من محاصيل تهامة، وأن الليمون والسفرجل، والرمان والبرتقال الأخضر من النوع الذي يطلق عليه (الخميش) تعد من منتوجات جبال السروات وأحوازها المسامتة لها شرقاً.. أما التفاح وهو من الأنواع الواردة في النص السابق ذكره فهو العنصر الذي يحتاج إلى بحث لأنه ليس من منتوجات تهامة وسرواتها إلا إذا كان المقصود به ما يسمى بالتفاح الجبلي في عسير وهو أخضر اللون صغير في حجم الليمون، وحتى هذا النوع نادر الوجود في أسواق تهامة في الوقت الراهن فما بالك في ذلك الزمان



بندر جازان في القرن العاشر الهجري

وقد ورد أيضاً في النص (الدراق)، وهو اسم يطلقه الشاميون على الخوخ والمشمش[٤]، وهما من الفواكه التي تنتجها أيضاً مرتفعات السروات وبخاصة الجنوبية منها، ويسوَّقان في فصل الصيف إلى تهامة ولكن ليس بالوفرة المعروفة الآن.

ولسنا في حاجة إلى تأكيد حقيقة جلب محاصيل السروات إلى أسواق تهامة على امتدادها من الحجاز إلى عدن جنوباً بما في ذلك منطقة جازان بطبيعة الحال.

أما المنظور الثاني وكان من الأنسب أن يقال ! المنظار وكلاهما في حسباني صحيحان مؤديان المعنى ذاته - فهو تاريخي نراه مساعداً لإلقاء الضوء على وثوقية النص من عدمها، فمن المرجح أن مرور الرحالة لويس فارتيما بساحل جازان في طريقه من الحجاز إلى اليمن كان بين عام ١٥٠٤م/ ٩١٠هـ و١٥٠٥م/ ٩١١هـ فهو قد بدأ رحلته من البندقية عام ١٥٠٣/ ٩٠٩هـ، ومكث في القاهرة شهوراً وطَّد أثناءها علاقات صداقة ببعض رجالات المماليك. ثم غادرها إلى الشام وأقام في لبنان مدة ثم استقر في دمشق حيث درس اللغة العربية كما قيل، وذلك يستغرق منه شهوراً عديدة بعدها غادر إلى الحجاز في قافلة حج بوصفه مسلماً حقيقة أو ادعاءً، ومكث شهوراً أخرى في مكة وجدة بعد أن تخلف عن قافلته بمساعدة رجل أعمال مسلم وزوجته استطاع اقناعهما بأنه مسلم ويرغب السفر إلى اليمن كي يعلمهم صناعة القنابل ضد المستعمرين البرتغاليين كما سلف. كل تلك الحوادث والأسفار بحراً أو براً على وسائط نقل بطيئة تأخذ وقتاً



ليس بالقصير يستغرق في أقل تقدير سنتين، تقل أو تزيد زمناً يسيراً. فإذا صح افتراضنا أن دخول ميناء جازان حسب النص، كان بين عامي ١٥٠٤و ١٥٠٥م - ٩١٠و ٩١١هـ) فإن هذا التأريخ بالذات كانت أوضاع جازان والمخلاف السليمان عموماً فيه مستقرة تقريباً في آخر إمارة الأمير القطبي الشريف أبي الغوائر أحمد بن دريب بن خالد بن قطب الدين الذي تولى مقاليد الإمارة بعد وفاة والده دريب بن خالد عام ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م، وتمكن من تحقيق التوازن في علاقاته بين دولة الطاهريين في اليمن، ودولة الأشراف في مكة المكرمة في عهد الشريف: محمد بن بركات الذي سبق أن قام بغزو المخلاف السليماني عام ٨٨٢هـ/١٤٧٧م، وأحرق جازان العليا، وهدَّم سورها وأباح ممتلكات أبناء عمومته أمراء جازان وقصورهم فهتكت الأعراض، ونهبت الأموال والأسلحة وأُحرقت الدور، وحملت مكتبة الأمير أحمد بن دريب وكانت من أكبر مكتبات الجزيرة[٥]، وانسحب أبو الغوائر بمن بقى معه من الرجال إلى زبيد ثم عاد بعد مدة بعد أن حسَّن علاقته بآل طاهر.. الذين عملوا أيضاً على استمالة حاكم مصر المملوكي (قايتباي)• لمنع حليفه شريف مكة محمد بن بركات، من معاودة غزو منطقة جازان[٦]، ومع ذلك فقد استمر أميرها أبو الغوائر أحمد بن دريب في دفع الإتاوة السنوية لأمير مكة تجنباً من مواجهته مرة أخرى، حتى توفى عام ١٥٠٦/٩١١[٧]، على رواية ابن الديبع الشيباني، وعلى رواية صاحب العقيق اليماني، وأخذ بها الشيخ العقيلي عام ١٥١١/٩١٧م[٨].



بندر جـازان في القـرن العـاشـر الهــجـري

لقد كانت أمور المخلاف مستقرة حوالي ثلاثين عاماً من حكم ابي الغوائر. ومع أن بندر جازان لم يرد له ذكر في حكم القطبيين الذي دام حسب تقدير بعض الباحثين مائة وأربعين عاماً[٩]، وإنما ذكر ضمنياً في عام ٩٥٩هـ[١٠]، عندما قام الامير عيسى بن المهدي بغزو بندر جازان وهي المدينة الساحلية التي أطلق عليها (بندر جازان) تمييزاً (إمازة) لها عن جازان العليا (المعروفة بدرب النجا)[١١]، وتلك الغزوة كانت متزامنة مع بدايات المرحلة الأولى من مراحل الوجود العثماني في تهامة المخلاف السليماني، أي بعد زيارة (فارتيما) المرجحة لجازان بحوالي نصف قرن. أما إذا افترضنا أن زيارته تلك كانت بعد عام ١٥٠٥م/٩١١هـ فإنه يكون قد قدم إليها في بداية إمارة الأمير القطبي: محمد المهدي بن أبي الغوائر أحمد بن دريب، وهو عهد مستقر نسبياً أشاد به الشاعر: الجراح بن شاجر الذروي الذي خص الأمير المهدي بمدائحه، ومنها هذه القصيدة التي نورد منها ثلاثة أبيات هي:

أيامنا بك يا عز الهدى غررُ
وعيشنا بك صفو ما له كدرُ
وصدعنا بك يا مهدي منشعب
وكسرنا بك يا مهدي منجبر
وحالنا بك يا مهدي حالية
وحال أعدائنا يا ابن الصفي صبر[١٢]

ولعله من المناسب أن نشير هنا إلى أن جازان بدأت تظهر - ذلك العصر - في خرائط الرحالة الخرائطيين

الأوربيين بخلاف ما كانت تظهر به في النموذج الخرائطي البطليوسي الذي كان يرسم مدن ومواقع الجزيرة وغيرها بأسمائها المتقادمة جداً وبطرق غير مفصلة، حيث بدأ الخرائطي الإيطالي:(جاستا لدى ١٥٠٠/١٥٦٥م) الأسماء المعاصرة آنذاك لبعض المدن والموانئ الرئيسية مثل:" مكة المكرمة" و" جدة" و "جازان" و" زبيد" و" عدن" كما رسم جزيرة فرسان باسم جزيرة (الفاس)(١٣)، إذن فوجود العدد الكبير من السفن الذي جاء في النص المنسوب إلى (فارتيما) إنه خمس وأربعون سفينة يمكن قبوله بما أشرنا إليه من الاستقرار وحركة التجارة.. والتبادل. وصادرات الإتاوة والهدايا في عهدي الأميرين أبي الغوائر ونجله محمد المهدي اللذين استطاعا تحسين علاقاتهما السياسية والتجارية بأشراف مكة وسلاطين آل طاهر في اليمن، فالمحاصيل الزراعية في المخلاف كانت مطلوبة من جملة صادرات التجارة والإتاوات والهدايا، إلى جانب الواردات إلى المخلاف بحراً عبر ميناء (بندر جازان) وكانت للمهدي علاقات أيضاً بمماليك مصر في عهد (قايتباي)(١٤).

كل ذلك يمثل قرائن قوية لقبول ما جاء في نص (فارتيما) المقتبس من كتاب (اكتشاف جزيرة العرب) السابق ذكره، لأن كتاب رحلته الذي قيل إنه أول كتاب يطبع لرحالة أوربي(١٥)، لم يقع بأيدينا حتى الآن، ولابد من الإشارة إلى أن الاستنتاجات التي توصلت إليها إنما هي مؤسسة على الراجح من أقوال الباحثين في تاريخ الأمراء القطبيين، وأبناء عمومتهم من الشطوط،



والغوانم، لا سيما ما يتعلق.. ببداية ونهاية حكم كل منهم، فهناك اختلافات في تحقيقها بين المؤرخين مما يجعل موضوع بحثنا هذا قابلاً للتوسع والتوثيق الذي لا يسمح به المقام الآن،،، والله المستعان.

الهوامش:

● يروى أن أبا الغوائر أو ولده محمد قد سمى ولداً له بالغوري.

(١،٢،٣)- اكتشاف جزيرة العرب/ جاكلين بيدين/ الفاخرية/ الرياض.

(٤)- القاموس المحيط.

(٥، ٦، ٧،٨) الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية بمنطقة جازان. د. أحمد الزيلعي.

(٩) المصدر نفسه والمخلاف السليماني - الجزء الثاني - محمد بن أحمد العقيلي.

(١٠،١١، ١٢) المخلاف السليماني - الجزء الثاني/ محمد بن أحمد العقيلي.

(١٣) حوليات سوق حباشة - العدد الرابع - د. عبد الله أبو داهش

(١٤) مقال للدكتور/ خالد بن محمد العنقري بعنوان (دور الرحالة الأوربيين في رسم خرائط الجزيرة العربية بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر الميلادي) المجلة التاريخية العدد:١٦العام ١٤٢١هـ - المغرب.

(١٥) الأوضاع السياسية للدكتور: أحمد عمر الزيلعي السابق ذكره.



سيد الجنائز

للكاتب الياباني: ياسوناري كاواباتا

ترجمة/
حسن الصلهبي



منذ نعومة أظافري وأنا متشرد بلا بيت آوي إليه، والإجازات المدرسية أقضيها مع أقاربي متحولاً من منزل إلى آخر، لكن أغلب تلك الإجازات كانت في منزلين لاثنين من أقاربي الحميمين جدا. هذان المنزلان يقعان شمال وجنوب نهر (يودو).أحدهما في مدينة بإقليم (كاواتشي) والآخر في قرية جبلية بإقليم (ستسو). كنت أتنقل بينهما بقارب صغير. لم يحدث أن حللت بهما ضيفاً ثقيلاً، بل على العكس فقد كنت أشعر دائماً أنني في منزلي وبين أهلي.

أنا الآن في الثانية والعشرين من عمري، في عطلة الصيف حضرت ثلاث جنائز في أقل من شهر، وفي كل مرة أرتدي معطف أبي الحريري الذي أورثه لي، وتنوراته الطويلة وجواربه البيضاء وأحمل في يدي مسبحة بوذية.

الجنازة الأولى كانت في فرع من إحدى أسر (كاواتشي) حيث توفيت أم شيخ العائلة التي أوهنها كبر السن.يقولون: إن لها أحفاداً في ثلاثينياتهم، وأنها تقلبت على فراش المرض لمدة طويلة. لك أن تقول إنها ذهبت إلى حتفها غير مأسوف عليها. عندما حدقت في هيئة الشيخ الكئيبة وعيون الحفيدة الحمراء بدا لي مقدار ما يشعرون به من حزن عميق ولكن قلبي لم يحزن على هذه المرأة. لم يخالطني شعور بموتها ورغماً عن إشعالي



للبخور قبل المذبح إلا أني لم أتعرف على وجه المرأة التي ترقد في التابوت. لقد غاب عن ذهني أصلاً وجود أحد فيه.

قبل أن يخرجوا بالنعش ذهبت وأديت العزاء في ثيابي التي أعددتها لمناسبة كهذه والمسبحة والمروحة في يدي بالطبع يرافقني ابن عمي القادم من (ستسو) والذي يكبرني سناً. ظهر ما قمت به مقارنة بتصرف ابن عمي لائقاً ومناسباً أكثر لمناسبة جنائزية كالتي نحضرها، كل هذا وأنا الأصغر سناً شعرت بارتياح وأنا أؤدي واجبي على أكمل وجه، أما ابن عمي الذي أدهشته تصرفاتي فقد سلك طريقي وقلدني. في البيت الكبير تجمع خمسة أو ستة من أبناء العمومة غير مكترثين برسم الحزن على ملامحهم.

وبعد أسبوع تقريباً كنت في (كاواتشي) عندما تلقيت مكالمة هاتفية من ابن عمي الأكبر في (ستسو). هناك جنازة في بيت من بيوت العائلة التي تزوجت فيها أخته الكبرى. قال لي:" وأنت أيضاً لابد أن تذهب". وعلى ما يبدو فإن أحد أفراد تلك العائلة قد حضر جنازة لعائلتي في السابق.

أصطحبت ابن عمي كرفيق السفر. ركبنا القطار وعندما وصلنا إلى منزلهم معزّين لم أتمكن من معرفة أيهم ينتمي إلى العائلة ما عدا النادب الرئيس، ولا حتى عرفت من هو الذي مات؟ منزل ابنة عمي كان مكان راحة للحاضرين، ولكن عائلة زوجها كانوا في غرفة منفصلة. أما الغرفة التي كنت فيها فلم يتحدث أحد عن الميت. كل

سيد الجنائز

ما فعلوه هو قلقهم من تزايد شدة الحرارة وسؤالهم عن وقت مواراة الميت. من فترة لأخرى يرتفع السؤال: " من الذي مات وكم عمره"؟ وفي هذه الأثناء تجولت في الممرات بانتظار وصول الجنازة.

في وقت متأخر من تلك السهرة طلب مني ابن عمي أن أذهب بدلاً عنه إلى جنازة لأحد أقرباء زوج أخته الكبرى دون علم بالعائلة التي تتولى مراسيم العزاء ولا اسم القرية ولا مكان المقبرة. ونحن نتجاذب أطراف الحديث قال مازحاً:" لم أطلب منك الذهاب إلا لأنك سيد الجنائز".

عقدت الدهشة لساني، ولأنا كنا على الهاتف فإنه لم تبن تعابير وجهي وافقت على الذهاب للجنازة الثالثة. في منزل (كاواتشي) حيث تلقيت المكالمة ابتسمت زوجة ابن عمي بامتعاض، حدقت في وجهي ثم واصلت خياطتها. قررت أن أبقي في منزل (ستسو) تلك الليلة ثم أغادر من هناك في الصباح التالي ذاهباً إلى حيث الجنازة، ومن أجل ذلك فقد عبرت نهر (يودو).

ضحك ابن عمي في التلفون، وإطلاقه علي لقب "سيد الجنائز" حرك في ردة فعل تجاهه فقد جعلتني تجاربي الماضية حساساً جداً خصوصاً لمثل هذه الكلمات. والحقيقة أنني منذ طفولتي وأنا أشارك في تشييع الجنائز أكثر مما أستطيع أن أحصيه، ليس فقط في وفاة أقاربي ولكني أيضاً مثلت في القرى الريفية حيث يجتهد الجميع لحضور جنائز بعضهم البعض.

مارست كل العادات الجنائزية في إقليم (ستسور)



وأعرف أيضاً تقاليد جنائز الأرض الطاهرة وطوائفها الجديدة، وحتى جنازة (نيتشرين) لم أضيع فرصة حضورها، كما شهدت اللحظات الأخيرة لخمسة أو ستة من الذين أستطيع تذكرهم الآن. وأتذكر أيضاً ثلاث أو أربع مرات قمت فيها بتطرية شفاه الميت بالماء الأخير. وأشعلت البخور الأول وأيضاً ما يسمى ببخور الوداع، وشاركت في مناسبات عديدة يجمع فيها رفات الميت ويوضع في إناء، بالإضافة إلى معرفتي بالطقوس البوذية في اليوم التاسع والأربعين من الوفاة.

لم أقابل الثلاثة الذين شاركت في تشييع جنائزهم ذلك الصيف أبداً، ولا وجدتُ طريقة أتمكن بها من الانغماس في حزن شخصي، ولكن الأمر يختلف عندما أكون في المقبرة فأثناء إشعال البخور أطهر نفسي من الهواجس الدنيوية وبصمت أدعو لراحة الميت. لاحظت جيداً ما يفعله معظم الشباب فهم يحنون رؤوسهم تاركين أيديهم تتدلي، أما أنا فأضم كفي إلى بعضهما مما جعل الناس يعتقدون أني أتقى وأصدق من الآخرين الذين لهم علاقة محدودة بالمتوفي. وما جعل هذا الانطباع يسود عني هو أن الجنائز تقودني للتأمل في حياة وممات أقربائي، وفي هدأة التأمل يسكن قلبي. كلما بعدت قرابتي عن الميت كلما شعرت برغبة جامحة للذهاب إلى المقبرة ترافقني ذكرياتي الخاصة: لكي أشعل البخور، وأضم كفي إلى بعضهما في إخلاص حميم لتلك الذكريات. ومع أني شاب في مقتبل العمر إلا أن سلوكي المحبذ هذا في جنائز الغرباء ليس شكلياً ولا زائفاً، بل



على العكس فهو لإظهار سعة الحزن الذي يكمن في داخلي.

لا أتذكر شيئاً عن جنازة والدي، ولا أتذكر شيئاً عنهما عندما كانا على قيد الحياة يقول الناس:" لا تنس والديك. تذكرهما على الدوام" ولكني لا أستطيع بالرغم من محاولتي. عندما أشاهد صورة لهما تصدمني لا على أنها مجرد لوحة ولا كائن حي.. شيء ما بين بين، ولا من فيها قريب أو بعيد.. ولكن شيء ما بينهما. أشعر بتوتر محرج وغريب حينما نقف أنا والصورة في مواجهة. عندما يتحدث أحد عن والدي لا أجد الطريقة المثلى للاستماع وتبقي رغبتي الوحيدة هي إنهاء ذلك سريعاً، حين يخبرونني بتأريخ وفاتهما وعمرهما عندما ماتا، فإني أنسى حالاً تلك التواريخ كما لو أنها مجرد أرقام عبثية.

سمعت من عمتي أني صرخت وانفعلت في يوم جنازة أبي، وطلبت منهم:" لا تقرعوا الجرس في المذبح. أطفئوا الضوء. واسكبوا الزيت من الإناء بعيداً في الحديقة". هذه هي القصة الوحيدة التي أثارتني بشكل غريب.

قدم جدي من طوكيو عندما كانت تسمى باسمها القديم (أيدو). تخرج والدي من مدرسة طيبة فيه بطوكيو. ثمة تمثال برونزي لرئيس المدينة في مقبرة (يوجيما تينجين). وفي أول يوم أحل فيه بطوكيو أطلعوني على ذلك التمثال. لقد جعلني أشعر بشئ غريب. تمثال برونزي يعطي انطباعاً غريباً للحياة، لقد جذبني كثيراً للتحديق فيه.



كانت جنازة جدتي في السنة التي التحقت فيها بالمدرسة الابتدائية، جدتي وجدي هما اللذان ربياني إلى أن توفيت جدتي عندما شعرت أنها اطمأنت على مستقبل طفل مريض مثلي. أمطرت بغزارة في ذلك اليوم، وبسبب ذلك حملني أحدهم على ظهره إلى المقبرة، وكذلك أختي ذات الأحد عشر أو الاثنى عشر خريفاً على ما أعتقد حملها أحدهم أمامي صاعدين طريق الجبل الترابي.

أيقظ موت جدي فيّ المشاعر الحقيقية الأولى من مذابح عائلتنا. وفي اللحظة التي لم يكن جدي يرقبني أختلس نظرة لمذبح العائلة المشع في الحجرة الخاصة به. تكرر أن فتح الباب المنزلق فتحة صغيرة في غفوة جدي ثم أغلقه من جديد، وأتذكر أنني كنت أكره فتح ضوء الشمس الخافت وهو يغسل قمم الجبال بعد نزولها تحت الأفق أفكر في الضوء المشع المنبعث من مذبح العائلة وكأنه يترقبني وأنا لا أزال في سني الثامنة. خربشت بخط تلميذ في صفة الأول اسم جدتي البوذي الطويل على الفاصل الأبيض المنزلق المؤدي إلى حجرة المذبح. بقيت تلك الخربشات هناك حتى بعنا البيت.

وبعد سنوات الشيء الوحيد الذي أستطيع تذكرة من هيئة أختي وهي تحمل على ظهر الرجل هو ملابس حدادها البيضاء. أغمضت عيني لعلي أمسك بتلابيب تلك الصورة فلم أر إلا المطروطين الطريق الأحمر. يؤلمني أن الرؤية في مخيلتي لا تضاهي الأحداث الحقيقية، وحتى الرجل الذي حملها لم يتجسد هو أيضاً في

مخيلتي، ولذا فإن ذلك الكائن الأبيض الغض العائم في الهواء هو فقط ما تحمله ذاكرتي عن أختي.

نشأت أختي في بيت أحد أقاربنا منذ أن كان عمري أربع أو خمس سنوات وماتت هناك عندما بلغت الحادية عشرة أو الثانية عشرة، وكأني لم أعرف لا أصل أبي ولا أمي ولا حتى أختي. شجعني جدي أن أحزن على فقدها. فتشت قلبي، فإذا بي أرتبك لأني لم أجد الطريقة التي أسلم بها روحي للحزن، إلا أن رؤيتي لجدي المنهك وحزنه الذي قد بلغ حده هي بالفعل ما ملأ قلبي ألماً. اتجهت عواطفي إلى جدي لتسكن إليه غير تاركة أي مؤشرات بتحولها إلى أختي.

درس جدي وتفوق في فنون العرافة، ولكن عينيه أقلقتاه فأصبح في سنواته الأخيرة وكأنه أعمى. سمع أن أختي في يد الموت فهرع يقلب عصى عرافته، وبصمت تكهن بعمر حفيدته. ضعف بصره جداً لدرجة طلبه مساعدتي في تصفيف تلك العصى. حدقت في وجه جدي الذي بدا أن السنين قد وضعت بصمتها عليه والنهار يواصل اقترابه من الليل شيئاً فشيئاً. بعد أيام استلمت رسالة ليس بها إلا كلمتان أو ثلاث عن وفاة أختي، لم أمتلك القدرة لإخبار جدي بها. أخفيت الرسالة ساعتين أو ثلاث قبل أن أقرر أخيراً قراءتها عليه، في ذلك السن كنت بالكاد أقرأ الحروف الصينية، ولكن عندما يأتي الأمر إلى قراءة أحرف مكتوبة بالطريقة المتشابكة فإني لا أفهم شيئاً. وفي العادة آخذ كف جدي وأمررها عليها مراراً وتكراراً حتى يستطيع التعرف



عليها. وإلى الآن فعندما أتذكر يده وأنا أمسكها وأقرأ عليه الرسالة فإن كفي الشمال تبرد.

مات جدي مساء جنازة الإمبراطورة (دواجر). أنا الآن في صيف السنة السادسة عشرة من عمري. هم أن يتنفس فنشبت نخامة في حلقة. قبض على صدره، وقالت امرأة بجانب سرير: " كأنه بوذا ! لماذا يعاني المسكين في لحظاته الأخيرة؟". لم أحتمل مشاهدته وهو يتعذب، ولذا انصرفت إلى حجرة أخرى في الساعة التي تلت ذلك الموقف. بعد سنة تقريباً لامتني إحدى بنات عمي لذلك الشعور البارد تجاه أقرب إنسان إلي. أمسكت بزمام الصمت، فليس عليها أن تفسر تصرفاتي بتلك الطريقة. في طفولتي لم أحبذ التعبير عن نفسي. كلمات تلك المرأة العجوز جرحتني جرحاً عميقاً، فذهب تفكيري إلى أن عدم وقوفي بجانب جدي حينما داهمه الموت إهانة له. بعدها، بعد أن أصغيت إلى تأنيب ابنة عمي صامتاً، الوحدة التي فارقتني زمناً عاودتني فجأة وغاصت في أعماقي، ولازمني إحساس بأني الوحيد على وجه الأرض من سكنته الوحدة وتفردت به الوحشة.

في يوم الجنازة وأنا أستقبل الضيوف الكثيرين الذين أتوا للعزاء شعرت فجأة بأنفي ينزف، وحينما أحسست بنزول الدم غطيت أنفي بطرف قميصي وخرجت حافياً على بلاط الحديقة، استلقيت على ظهري في ظل شجرة على الصخرة الكبيرة التي يبلغ ارتفاعها حوالي ثلاثة أقدام في مكان لا يراني فيه أحد منتظراً أن يتوقف



النزيف. تسلل ضوء الشمس الباهر خلال أوراق شجرة البلوط العتيقة مما مكنني أن ألمح أجزاء صغيرة من السماء الزرقاء. أعتقد أن هذه هي أول مرة في حياتي يحدث لي مثل هذا النزيف الذي جعلني مستوعباً لمدى ألمي على موت جدي، ولأني الوحيد في العائلة كثير الضيوف وشغوف بالجنائز حضوراً وتشييعاً وتعزية فلم يسعفني الوقت لأنتبه لحاجات نفسي. إلى الآن لا أستطيع التفكير في موت جدي أو إلى أي مدى سيؤثر على مستقبلي، لأني لا أضع نفسي في عداد الضعفاء، إلا أن ذلك النزيف أحبطني قليلاً. لم أشأ أن يفسر اختفائي المفاجئ بالضعف، فأنا النادب الرئيسي والجنازة على وشك أن تجيء. لم يبرر أحد تصرفي هذا مما أثار ضجة كبيرة، خلوت بنفسي على صخرة الحديقة للمرة الأولى في الأيام الثلاثة منذ أن توفي جدي، حيث تولد في قلبي شعور غامض بنفور الناس مني وتخليهم عني.

ذهبت في صباح اليوم التالي إلى حيث تجمهر الناس بانتظار عملية الحرق مع ستة أو سبعة من أقاربي وصحبنا أصدقاء قرويون. لم يكن لمحرقة الموتى الجبلية سقف، وحين تسلمنا الرفات لم تزل هناك طبقة من النار تحترق في الأسقف. ونحن نلتقط العظام من النار بدأ أنفي ينزف ثانية. ألقيت بعيدان الخيزران التي تستخدم كحطب وأرخيت وشاحي متمتماً بكلمة أو كلمتين وسددت أنفي ثم انطلقت راكضاً على أعلى الجبل. لم يتوقف النزيف كاليوم الأول برغم محاولاتي المتكررة. يداي غطاهما الدم الذي تقاطر حتى على رؤوس العشب..



بينما كنت مستلقياً على ظهري في هدوء نظرت إلى البحيرة في سفح الجبل أشعة شمس الصباح الراقصة على سطح الماء انعكست أصواتاً بعيدة تكرر ندائي. ساءني وشاحي الذي أضحى منقوعاً بالدم، ولكن بصيص الأمل في عدم ملاحظته لم يخفت لأن لونه أسود. عدت إلى المحرقة فإذا بأعين الحاضرين جميعاً ترشقني بسهام اللوم والتأنيب فالعظام مكشوفة، ولذلك فقد طلبوا مني أن ألتقطها. وبقلب بائس التقطت العظام الصغيرة ثم ارتديت وشاحي الذي جعله الدم المتخثر جافاً بقية النهار، توقف النزيف الثاني ولم يلاحظه أحد، وإلى الآن لم أحك أي قصص عن عائلتي ولا سئلت عنهم إطلاقاً.

نشأتُ في الريف بعيداً عن المدينة ولذا فلست أبالغ إن قلت إن كل أفراد الأسر الخمسين في قريتنا أشفقوا عليّ وشاركوني حزني، وقف القرويون في تقاطع الطريق بانتظار موكب الجنازة. كنت أمشي أمام الجنازة وتحديداً أمام صندوق النعش. رفعت النساء أصواتهن بالنحيب. سمعتهن يصرخن:" يالبؤس هذا الصبي!" شعرت بالحرج وتقدمت في سيري الذي بدا الجفاء على خطواته. بعد تجاوزي للتقاطع سلك النساء الواقفات هناك طريقاً مختصراً آخر من أجل أن يلاقين موكب الجنازة ثانية فيجهشن ببكائهن.

منذ صغري وتعاطف جيراني معي يهدد بأن يجعلني موضع شفقتهم. قبل نصف قلبي إحسان الآخرين بينما رفضه النصف الآخر وكرهه. جنازة جدي وجنازة أخته الصغرى وجنازة عمي ومعلمي وآخرين قريبين مني، كل

سيد الجنائز

هذه الجنائز سببت لي الكثير من الحزن والألم، أمّا الملابس الخاصة التي تركها لي والدي فقد لبستها مرة واحدة فقط في مناسبة سعيدة هي مناسبة زواجي، أما المرات الأخرى التي لا أحصيها من كثرتها فإني أرتديها حين ذهابي إلى المقبرة الأمر الذي جعلهم يطلقون عليّ (سيد الجنائز).

الجنازة الثالثة في عطلة ذلك الصيف في قرية على بعد ميل تقريباً من بيت ابن عمي الذي قصدته مسافراً بدون أي تكليف وكأني ذاهب في زيارة عادية. أمضيت ليلة هناك وعندما أوشك موعد رحيلي تبسم أحد أفراد أسرته قائلاً:" ربما دعوناك مرة أخرى، فعندنا فتاة مصابة بمرض السل والتي يحتمل ألا تكمل هذا الصيف".

فكيف يمكن أن نجري مراسيم أي جنازة بدون وجودك يا سيد الجنائز؟

حزمت ملابسي وعدت أدراجي إلى بيت ابن عمي في (ستسو)، وهناك وجدت زوجته في الحديقة وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة جعلتني أحس باعتدال مزاجها.

- " مرحباً بك في بيتك أيها الحانوتي ".

- " كفي عن كلامك الناعم هذا وأحضري لي بعض الملح؟" قلت هذا وأنا واقف أمام البوابة بالضبط ".

- " ملح؟! ماذا ستفعل به؟".

- سأطهر نفسي. لن أستطيع الدخول قبل أن أقوم بهذا ".

- " يالَه من أمر مقزز. كأنك مضطرب نفسياً".



أحضرت حفنة من الملح ورشته عليّ بطريقة غشاها التكلف والزيف. كـان ابن عـمي على وشك أن يضع قميصي المبلل بالعرق والذي خلعته للتو على الشرفة المطلة للشمس لكي يجف.

شمت رائحته فنظرت إلي مقطبة حواجبها وقالت بسخرية:" يا للفظاعة... رائحة قميصك كأنها رائحة قبر".

- " إن كنت لا تعرفين رائحة القبر فهذا أمر سيئ حقاً".

لا يزال ابن عمي مبتسماً، " أعرف حتماً أن رائحته كرائحة شعر محترق ".

البائع المتجول الكابولي ولَـهْ
Cauliwallah

ترجمة/
د. منذر بن
عادل العبسي**

• قصة للكاتب الشهير طاغور

إن ابنتي مِنِّي Miniذات الخمس سنوات من عمرها لا تستطيع العيش دون ثرثرة، وفي الحقيقة فإنني أعتقد أنه خلال عمرها لم تُضع ولا حتى دقيقة واحدة من عمرها في الصّمت. وغالباً ما تنزعج أمها من ثرثرتها لدرجة أنها تسكتها أحياناً رغماً عنها، أما أنا فلا. إنه من غير الطبيعي أن ترى مِنِّي صامتة، وهو أمر لم أكن لأطيق احتماله أنا شخصياً، ومن هنا فإن كلامي معها كان دوماً مفعماً بالحيوية ومباشراً.

وذات صباح وبينما كنت في غرفتي أكتب الفصل السابع عشر من روايتي الجديدة دخلت طفلتي الصغيرة خِلسة ووضعت يدها على يدي قائلة: "أبتي، إن رامديال Ramdayal البوّاب لا يلفظ الأسماء بشكل جيد، فمثلاً يقول للغراب قُراب. إنه لا يعرف شيئاً، أليس كذلك؟" وقبل أن يكون بوسعي أن أشرح لها عن الفروق في اللغة في هذا العالم، كانت قد دخلت بمناقشة موضوع آخر مختلف تماماً. قالت مِنِّي: "ماذا تظن يا أبي؟ إن بهولا Bhola يقول إن هناك فيلاً ضخماً يسكن في الغيوم يضخ الماء من خرطومه ولهذا السبب ينزل المطر." لم يسعفني الوقت للتفكير في الإجابة على سؤالها لأنها سرعان ما اقتحمت موضوعاً جديداً: "أبتي، ما هي درجة القرابة بينك وبين أمي؟" أجبتها

• رابيندر اناث تايغور (طاغور)
هو أعظم كتاب وشعراء البنغال، وهو من المبدعين في القصة القصيرة. كان - ومازال- يؤثر بالكثيرين من قراء الأدب ويستميل قلوبهم رغم قدم عصره. إن فن طاغور القصصي يتمتع بالإتقان والسبك الرائع وهو يستهوي الكبير والصغير على حد سواء. ففي جميع كتاباته نجد لديه قدرة فائقة في التأثير في الناس رغم اختلاف ظروفهم وذلك عن طريق تقديم رائع لشخصياته وتعكس كتاباته قدراً كبيراً من الرؤية الإبداعية والسيكولوجية.

•• كاتب سوري، عضو هيئة التدريس بجامعة الملك خالد بأبها.



متمتماً عن غير قصد: "إنها شريكة حياتي الغالية"- ولكنني بينما كنت أحاول الإجابة- سرعان ما تجهم وجهي فقلت بحزم:"مِنِّي! اذهبي والعبي مع أخيك بهولا، فأنا مشغول الآن."

أَجْلستْ الطفلة نفسها عند قدمي قرب منضدتي وأخذتْ تلعب بهدوء وهي تربت على ركبتيها وكأنهما طبلتها. كنت منهمكاً في عملي، أكتب الفصل السابع عشر من روايتي حيث البطل بروتاب سينغ Protap Singh كان لتوه قد أمسك بذراعي البطلة كانشانلاتا Kanchanlata وكان على وشك الهروب بها وإنقاذها من نافذة الطابق الثالث من القلعة. وفجأة توقفت مِنِّي عن اللعب وانطلقت تعدو إلى نافذة غرفتي التي تطل على الطريق وهي تصيح: إنه الكابولي وَلَهْ، الكابولي وَلَه. وبالطبع كان هناك بائع متجّول من كابول (الكابولي وَلَهْ) ماراً بالبيت يمشي الهوينا. كان يرتدي ثياباً فضفاضة ترابية اللون مثل جميع الأفغان، مع عمامة طويلة. كان يحمل صرة على ظهره وفي يده صندوقي عنب. لا أستطيع أن أصف مشاعر ابنتي لدى رؤيتها لذلك الرجل، ولكنها سرعان ما بدأت تناديه بأعلى صوتها. قلت في نفسي: "آه، لا بد وأن يدخل بيتنا، وبالتالي فلن أكون قادراً على الانتهاء، مما أنا فيه من فصل روايتي." في تلك اللحظة التفت الكابولي إلى الطفلة التي كانت تناديه، ولكنها عندما رأته ينظر إليها تملّكها الخوف فهرعت إلى أمها طلباً للحماية ثم اختفت. كان لديها اعتقاد خاطئ مفاده أن داخل الصرة التي يحملها الرجل طفلين أو ثلاثة من مثل سنّها.



البائع المتجول الكابولي وله

في تلك الأثناء دخل البائع المتجول رواق بيتنا وحيَّاني بوجه طلق باسم.

كان موقف بطلي روايتي الجديدة واهياً حيث كان علي أن أتوقف عن الكتابة وأشتري شيئاً طالما أن الرجل وطِئَ عتبة دارنا لدى مناداة ابنتنا له. ابتعت منه بعض الأشياء ثم تلى ذلك محادثة بيننا حول عبد الرحمن (الأفغاني)، والروس، والإنجليز وعن سياسة الحدود. وعندما كان على وشك الرحيل سأل قائلاً: "ولكن أين ذهبت الطفلة الصغيرة يا سيدي؟" قلت في نفسي لا بد و أن مِنّي قد هدأ روعها المزيَّف ولذلك دخلت الحجرة وأحضرتها إلى حيث الكابولي. وقَفَتْ قريباً من كرسييّ واجمة تنظر إلى الرجل وإلى صرته. مد يده في جيبه وأخرج حفنة من المكسرات والزبيب وقدّمها إليها، ولكنها لم تتحرك بل ازدادت شكوكها بالرجل فما كان منها إلا أن تمسّكت بي جيداً.

كان ذلك لقاؤهما الأول. فبعد بضعة أيام ذات صباح كنت مغادراً المنزل، أدهشني رؤية منظر مِنّي جالسة على المقعد بجانب الباب وهي تضحك مع البائع الكابولي الضخم وتمازحه حيث كان جالساً عند قدميها. وفيما عدا والدها ربما لم تكن ابنتي لتجد جمهوراً صبوراً من شأنه أن يصغي إليها سوى ذلك الكابولي. كانت زاوية ثوبها الساري الصغير قد امتلأت لتوها باللوز والزبيب الذي زودها به زائرها الكابولي. قلت له: "لماذا أعطيتها كل ذلك اللوز والزبيب؟" قلت له ذلك وأنا أُخرج قطعة نقدية من جيبي وناولته إياها. لم



يشعر الرجل بالحرج بل تناول قطعة النقود ودسها في جيبه. ولكن وللحسرة فلدى عودتي اكتشفت أن قطعة النقود التعيسة تلك قد خلّفت من المتاعب ما يوازي ضعف قيمتها، ذلك أن الكابولي قد أعطاها لمِنّي.

وعندما لاحظت أمّها بريق النقود في جيبها صرخت بها قائلة: "من أين لك قطعة النقود تلك؟"

قالت الطفلة ببراءة: "لقد أعطانيها الكابولي."

قالت الأم: "أعطاك إياها البائع الجوال، ولماذا قبلتيها منه؟"

وبدخولي المنزل كان من حسن حظها أنني أنقذتها من كارثة محتمة، ولكنني بعد تحقيقاتي الخاصة مع مِنّي وجدت أن الاثنين كانا قد التقيا لمرات عدة، ذلك أن الكابولي كان قد تغلب على أولى مخاوفها منه بحصافة وذلك عن طريق رشوتها بالجوز واللوز، وها قد أصبح الاثنان صديقين عظيمين. كانا يتبادلان النكات الطريفة والتي كان من شأنها أن تزيد من طرب كل منهما. ولكم صادفتها تجلس أمامه وهي تنظر إلى قامته المديدة ووجهها يهتز طرباً من ضحكاتها وهي تسأله: "أوه أيها الكابولي! أيها الكابولي ماذا لديك في هذه الصرة الكبيرة؟" وهو يجيبها بخنته الجبلية: "إن معي فيل" - ورغم أن هذا ربما ليس ذلك الشيء المضحك، إلا أن فطنة كل منهما كانت تبهج الآخر وتضحكه وتطربه. وبالنسبة لي فإن كلام هذه الطفلة مع رجل كبير فيه شيء غريب رائع.

ثم كان يأتي دور الكابولي الذي لم يقصر مرة في إزجاء

البائع المتجول الكابولي وله

الطرفة - كان يقول للطفلة: "حسناً أيتها الصغيرة ومتى سوف تذهبين إلى بيت حميك؟" لا بد وأن جميع الفتيات البنغاليات كنّ قد سمعن عن "بيت الحمو"، ولكن بالنسبة لنا كوننا حديثي العهد بالأطفال لم نكن قد أطلعنا الصغيرة على مثل هذه الأمور؛ وبدورها فإن موني لا بد وأن سؤالاً من هذا النوع كان لابد وأن يثير بعضاً من الدهشة لديها ولكنها لم تكن لتظهرها بل كانت تجيب بحضور بديهة سليمة: "وهل أنت ذاهب إلى هناك أيضاً؟" لقد كان معروف فيما بين الرجال من طبقة الكابولي هذا أن كلمة "بيت الحمو" كانت تتضمن معنيين متناقضين الأول أنها لفظة تهذيب تدل على السجن، والثاني المكان الذي يلقى فيه المرء الكرم والاهتمام وهو بيت أهل الزوجة. إن المعنى الأول هو الذي كان يركز الكابولي القوي عليه لدى سؤال ابنتي له. فقد كان يهز قبضته وكأنما يلاكم شرطياً افتراضياً وهو يقول: "سوف أهشم ذلك الحمو هكذا - بُمّ، آه." إن هذا التمثيل أمامها من الكابولي كان يطلق الضحكات المتتالية من أعماقها وغالباً ما كان ينضم إليها صديقها الكابولي في ضحكه.

كان الفصل خريفاً وكان وقت صاحبنا المفضل في المجيء إلينا في الصباح - إنه الوقت الذي كان قدماء الملوك يذهبون فيه للغزو. وفي مثل ذلك الحين كنت قلما أغادر فيه كالكوتّا Calcutta بل كنت أدع المجال لخيالي كي يجول حول العالم. فإذا ما ذكرتُ أي بلد أخرى في العالم، كان قلبي يسافر إليها، ولدى مشاهدتي لأي إنسان غريب في الشارع كنت أجنح لنسخ شبكة كبيرة من



الأحلام حول الجبال والوهاد والغابات والوطن البعيد لذلك الغريب وعن بيته في ربوع تلك البلاد وعن حياته المستقلة الحرة التي يحياها خارج حدود وطنه. ربما تتمثل مشاهد السفر أمام ناظري وتمر في مخيلتي كشريط سينمائي حيوي لمرات عدة ربما لأنني أنهج طريقة حياة هي من أحط معاني الوجود بحيث التفكير بأي نداء للسفر كان وقعه عليّ كالصاعقة. ففي حضور هذا الكابولي انتقلت مخيلتي بسرعة خاطفة إلى سفوح جبال ذات قمم جرداء ذات شعاب ملتوية تتداخل تارة وتنبثق أخرى. ومن بين مرتفعاتها الشاهقة كان بمقدوري أن أرى قوافل الجمال تحمل مختلف الأنواع من البضائع التي يمتلكها مجموعة من التجار من أصحاب العمائم وهم يحملون أسلحتهم الفردية الغريبة ورماحهم بينما يهبطون تلك الجبال إلى السهول. وكان بمقدوري أن أرى في موقع ما من ذلك الشريط أم مِنِّي وهي تتدخل وتتوسل قائلة لي: "كن على حذر من ذلك الرجل."

ولسوء الحظ فإن أم مِنِّي سيدة خجولة جداً. وكانت كلما سمعت بضجة ما في الشارع أو رأت أناساً يسيرون باتجاه المنزل كانت كثيراً ما تحكم على هؤلاء أنهم إما لصوص أو سكارى أو أفاعي أو نمور أو ملاريا أو جراد، أو حريشات سامة أو بحارة إنجليز. وحتى بعد كل سنوات الخبرة هذه فهي غير قادرة على التغلب على مخاوفها؛ ومن هنا كانت الشكوك تساورها حول شخصية هذا الكابولي وكانت ترجوني أن آخذ حذري من ذلك الرجل بشأن مِنِّي. كانت تقول "ألم يكن هناك عمليات خطف



للأطفال؟" و "هل وجود الرقيق في كابول هي مسألة كاذبة؟" و "أليس من السخف أن لا نعتقد أن هذا الكابولي الضخم بمقدوره أن يحمل طفلة صغيرة؟"

ولكنني كنت أقول لها أعتقد أن أمراً كهذا رغم أنه يبدو غير مستحيل إلا أنه بعيد الاحتمال. ولكن ذلك لم يكن كافياً لتبديد مخاوفها التي ما فتئت تقض مضجعها. ومهما يكن فإنه لم يكن من الممكن أن نمنع الرجل من البيت، ولذلك فإن المودة استمرت فيما بين طفلتي وذلك التاجر المتجول.

البائع المتجول الكابولي ولهُ

وفي منتصف يناير (كانون الثاني) من كل عام كان من عادة الكابولي -واسمه رحمون- أن يعود إلى وطنه. ومع دنوِّ ذلك الموعد يصبح الرجل مشغولاً جداً في تحصيل ديونه، ولذلك تراه يدخل في بيت ويخرج من آخر. ولكن هذا العام كان لديه الوقت الكافي كي يأتي ويرى مِنِّي. وبالنسبة لمن ليس له علاقة، كان الأمر يبدو وكأن هناك مؤامرة فيما بينهما، وذلك أن الكابولي إذ لم يكن بمقدوره أن يأتي في الصباح كان غالباً ما يأتينا في المساء. وحتى بالنسبة إلي كنت أشعر بالوجل عندما أصادف على حين غرة وفي ركن البيت المظلم ذلك الرجل مديد القامة بحلته الفضفاضة وصرره وحقائبه الكثيرة من حوله وهو يقص قصصه على مِنِّي؛ ولكن عندما كانت مِنِّي تهرع للداخل وهي تنادي الكابولي وله الكابولي وله وهي تضحك كانت مخاوفي تتبدد وأشعر بالأمن حيال صديقين كل منهما في سن يختلف عن الآخر يمضيان بعض الوقت وهما في مرح وسرور بالغين.



وذات صباح وقبل أن يحزم رحمون أمره للسفر إلى بلاده، كنت في غرفة مكتبي ألقي نظرة أخيرة على روايتي. كان الطقس قارساً ولكن أشعة الشمس دخلت من نافذة غرفتي ولامست قدمي فكنت سعيداً بذلك الدفء ينبعث في غرفتي. كانت الساعة تقارب الثامنة، وكان المشاة في الطرقات عائدين إلى منازلهم وقد غطى كلٌ رأسه من شدة البرد. وفجأة وعلى حين غرة كان هناك هرج ومرج في الشارع. تطلعت من النافذة ولدهشتي وجدت رحمون الكابولي يقوده شرطيان ويداه مقيدتان خلف ظهره، ومن خلفهم عدد من الأولاد الفضوليين. كان هناك بقع من الدم على ثياب الكابولي وكان أحد الشرطيين يحمل سكيناً. هرعت خلفهم فأوقفتهم كي أتساءل عما حدث بالفعل. وبعد التحدث إلي هذا و ذاك استنتجت أن أحد جيراني كان قد اشترى شالاً رامبوريّاً ?Rampuri Shawl من رحمون التاجر ولكن هذا الجار أنكر أنه ابتاعه منه وبالتالي رفض إعطاءه أية نقود؛ وأنه في خضم النقاش استل الكابولي سكيناً من جيبه وطعن بها ذلك الرجل. كان رحمون الكابولي بين يدي الشرطة يشتاط غضباً ويكيل الشتائم لعدوه، وفجأة ظهرت ابنتي مِنّي في شرفة منزلنا فأخذت تنادي بصوتها المعهود: "إنه الكابولي وله، إنه الكابولي." أشرق وجه رحمون عندما استدار كي ينظر إليها. لم يكن معه أية حقائب عندئذ ولذلك لم تسأله عن الفيل، بل انتقلت تلقائياً إلى السؤال التالي المعهود: "ولكن هل أنت ذاهب إلى بيت حماك الآن؟" ضحك رحمون من أعماق قلبه وردَّ قائلاً: هاأنذا ذاهب



إلى هناك الآن يا صغيرتي!" ولكنه عندما أدرك أن جوابه لن يرضي مِنّي بالشكل المعهود، رفع يديه المقيدتين وقال مخاطباً مِنّي: "كم كان بودي أن أهشم ذلك الحمو العجوز ولكن يديَّ مغلولتان." تم الحكم على حادثة رحمون مع جاري على أنها عمل إجرامي فدخل السجن لبضع سنين.

وتمر الأيام وتمضي السنون ويأتي الخريف ثانية. كنا قد أتممنا الاستعدادات لحفل زفاف ابنتنا مِنّي التي أصبحت الآن في سن الزواج. وكان من المقرر أن يتم الزفاف خلال عطلة بوجا ?Puja Holiday.كان الصباح مشرقاً، فبعد هطول المطر كان هناك جو من الانتعاش في محلتنا وبدت أشعة الشمس الساطعة وكأنها الذهب في نقائها. كانت خيوط الشمس وضّاءة وقد أعطت بريقاً جميلاً حتى لجدران الآجر البائسة في أزقة كالكوتّا. ومنذ الصباح الباكر ومزامير الزفاف تدوي في الحي، وكان قلبي ينبض مع كل نغمة تصدرها هذه المزامير. فنغمات البهيرافي ?Bairaviالتي كانت تعزف بدت لي حزينة تزيد من ألم يقترب موعده وهو فراق ابنتنا العزيزة إلى بيت زوجها - إن ابنتي مِنّي سوف تُزفُّ الليلة.

بدأت مراسم الاحتفال في جميع أرجاء دارنا منذ الصباح الباكر، وكان علينا أن نبني الخيمة الكبيرة على أعمدة البامبو في ساحة البيت الكبيرة، كما أن الثريات والأضواء كان لا بد من تعليقها في كل غرفة وكل شرفة، ولم يكن هناك حدود للفرح والسرور والبهجة. كنت في غرفة مكتبي أنظِّم جدول حسابات وتكاليف حفلة الزفاف عندما دخل رجلٌ الغرفة وحيَّاني بكل وقار ثم وقف جانباً



ينظر إليَّ. ولم يكن ذلك الشخص سوى رحمون الكابولي. في البدء لم أعرفه ذلك أنه لم يكن معه أية حقائب وكان قد قُصَّ شعره إضافة إلى أن الحيوية والنشاط التي كان يتمتع بهما قد خبتا. ولكنه تبسم لي وسرعان ما عرفته.

سألته: "متى جئت يا رحمون؟"

قال: "الليلة الماضية، تم إطلاق سراحي من السجن."

كان وقع كلامه حزيناً فتألمت كثيراً لحالته. ما كان لي أن أتكلم مع رجل اعتدى على أخٍ له في الإنسانية ذلك أن قلبي ينقبض لرؤية مثل هؤلاء، وشعرت أن يومي كان من الممكن أن يكون أكثر تفاؤلاً لو لم يظهر لنا رحمون فيه.

قلت له: "هناك احتفالات تجري في البيت الآن، وأنا مشغول جداً. تأتي في يوم آخر من فضلك؟"

وفي الحال استدار للخروج، ولكنه عندما وصل الباب تردد لحظة وقال: "هل لي أن أسلِّم على الطفلة الصغيرة ولو لحظة يا سيدي؟" لقد كان اعتقاده أن مِنِّي ما تزال صغيرة. لقد تصورها وهي تركض إليه كعادتها وهي تنادي: "الكابولي وله، الكابولي وله!" وتخيَّل أيضاً أنهما سيضحكان ويمرحان كأيام زمان. وفي الحقيقة فإنه استعداداً لمثل ذلك اللقاء كان قد جلب معه بضع حبات من اللوز والزبيب والعنب أخذها بطريقة ما من أحد زملائه من التجار.

قلتُ مجدداً: "الاحتفال جارٍ في البيت وليس بمقدورك أن ترى أحداً اليوم."

طأطأ الرجل ونظر في الأرض، ثم إنه نظر إلي نظرة أمل لا يُرجى وقال: "طاب صباحك يا سيدي" ثم خرج.



البائع المتجول الكابولي ولـهْ

شعرت بالأسى وكنت على وشك مناداته وإذا به يعود من تلقاء نفسه. اقترب منِّي وهو يحمل هديته ويقدمها إلي قائلاً: "قد جلبت هذه الأشياء القليلة للصغيرة، هل لك أن تعطيها إياها من فضلك؟" تناولتها منه، وهممت بدفع ثمنها ولكنه أمسك بيدي قائلاً: "إنك رجل كريم يا سيدي، لا أريد نقوداً ولكن أريد أن تذكرني فقط. لديك طفلة صغيرة وأنا كذلك عندي مثلها ولكنها في الوطن بعيدة عني. إنني دائم التفكير بها وأنا أجلب الفاكهة والمكسرات لابنتك لا لكي أكسب منك أو منها، بل محبة لها لأنها تذكّرني بطفلتي." قال ذلك وهو يضع يده في جيب ثوبه الكبير الفضفاض ويخرج قطعة ورق صغيرة متّسخة نوعا ما. فكَّ الورقة ثم وضعها على طاولتي وهو يبسطها ويصقلها بكلتا يديه. لم تكن صورةً ولا رسماً، بل كانت بصمة كف صغيرة طبعت على الورقة بعد أن لُطّخت بالحبر. إن هذه اللمسة من يد طفلته كانت دوماً في فؤاده، وها هو يمضي أعواماً وأعواماً في شوارع كالكوتّا يبيع البضائع وهو بعيد عنها.

اغرورقت عيناي بالدموع، فقد نسيت أنه بائع فاكهة متجول من كابول بينما كنت أنا - ولكن لا- ماذا كنت أكثر منه؟ لقد كان كلٌّ منَّا أباً لطفلة. وفي حين أن فلذة كبدي بجانبي أستطيع رؤيتها أي وقت أشاء، إلا أن مهجته بعيدة عنه خلف الجبال لا يملك منها شيئاً سوى بصمة أناملها على ورقة بالية.

أرسلت خلف منِّي في الحال من الشقة الداخلية. لقد تسبب ذلك في بعض الإرباكات ولكنني كنت مصرّاً على



حضورها. جاءت مِنّي وهي ترتدي فستان زفافها المصوغ من الحرير الأحمر وعلى جبينها صبغة معجون الصندل، وهي تزدان كعروس صغيرة. وقَفَتْ أمامي مُطرقة بحياء وقد اختلطت بوجنتيها حمرتا الخجل والزينة. بدا الكابولي وكأنه مرتبك قليلاً بعد أن انتابته الدهشة بمظهر مِنّي، فهو لن يستطيع بعد اليوم إحياء صداقتيهما القديمة، ولكنه في النهاية تبسم لمِنّي قائلاً لها: "أيتها الصغيرة هل أنت ذاهبة لبيت حميك الآن؟" ولكن مِنّي أصبحت الآن تعرف معنى "بيت الحمو" ولم يكن بمقدورها أن تجيبه بنفس الطريقة التي كانت تفعلها في الماضي. احمرت خجلاً من سؤاله وهي تقف أمامه، ثم أطرقت رأسها استحياءً وهي في ليلة زفافها.

تذكرتُ اليوم الذي تقابل فيه الكابولي مع ابنتي مِنّي لأول مرة، فانتابني الحزن. وعندما انصرفت أطلق رحمون تنهيدة عميقة وجلس واجماً على الأرض. لقد انتابته فكرة أن ابنته هي الأخرى لا بد وأنها كبرت بعد هذا الوقت الطويل الذي أمضاه وهو بعيد عنها وأن عليه بناء علاقته معها من جديد. وبالتأكيد لن يراها كما كانت عليه قبل ثماني سنوات أمضاها بالسجن ولا يدري ماذا حل بها بعد هذه السنين الطويلة.

دوَّت أصوات مزامير الفرح في حين سطعت شمس الخريف المعتدلة من حولنا. ولكن رحمون جلس في زقاق كالكوتّا الصغير ينظر إلى جبال أفغانستان الجرداء. أخرجت قطعة نقدية كبيرة وقدمتها له قائلاً: "اذهب إلى

بلدك يا رحمون كي تلقى ابنتك وعسى أن تحظى ابنتي بسبب سعادة ذلك اللقاء بحظ طيب."

وبتقديمي الهدية لرحمون كان على أن أقتن من بعض الاحتفالات التي كنت عزمت على القيام بها بمناسبة زفاف ابنتي، فلم يكن بمقدوري الدفع من أجل المزيد من الإضاءات والأنوار التي كنت عازماً على إقامتها وكذلك تم إلغاء الفقرة الخاصة بالعرضة الموسيقية، الأمر الذي أثار حفيظة النساء من حولي. وأما أنا بالنسبة لي فقد ازدانت بهجة فرحة الزفاف عندي لمجرد تفكيري بأن هناك في مكان ما خلف تلك الجبال الجرداء وفي الأرض البعيدة قد التقى من جديد أب طال فقده بابنته الوحيدة.

عتاب

شعر:
موسى مروعي شافعي•

• شاعر سعودي شاب

تعاتبني ومنك بدا الخصام
وتهجرني وقد كثرَ الملام
ولولا عشرة طابت زماناً
لقلت عليك يا خلي السَّلام
على أني لهجرك كنت قالٍ
وعندي هجر من أهوى حرام
تنام على البُعاد وأنتَ ناس
وغيرك لا يروق ولا ينام
لقد قاسيت أياماً شداداً
كأن عذابها الموت الزؤامُ
أبيت وفي فؤادي منك نار
تذوب على توهجها العظام
وتصلى في لهيب الشوق روحي
ويقتلني التوجد و الهيام
وأذكر ماضياً حلواً جَميلاً
حلا فيه الهوى وصفا الوئام
ليالي كنت تلقاني بشوقٍ
وفي عينيك يختلط الكلام
ولي عينان قد شكتا طويلاً
سهاداً كان أو جده الغرام

أصـــومِّـــهـــا فـــلا ترنو لشـــخص
سـوى خلي ويعـجـبـهـا الصـيـام
تـذكـــــر يوم أن كـنـا ســــويـاً
كـمـثل الغـمـد لازمـه الحـســام
إذا مـــا غـــبتُ عنك أتيت نحـــوي
بجنح الليل يَســــتــرك الظلام
وإمـــا غــبتَ جــئــتُكَ لا أبالي
لك الـعـــتـــبى وإن ســـخط الأنام
وكم من ليلةٍ وافـــيت فـــيـــهـــا
بشـــوش الثـــغـــر يعلوك ابتـــســام
تســـاقـــيني بكفك كل نعـــمى
وترويـنـي فـــــيـنـطـفـئ الأوام
وكم من ليلة فـــيـــهـــا اعـــتنقنا
عناقــــاً ليس يفــعـله الحـــمـــام
وذقت الشـــهـــد من عـسـل مـصـفى
ولكن فـــاح من قـــدحي البـــشـــام
حـــرام كل خـــمـــرٍ غـــيـــر خـــمـــري،
وحل تحت شــــفَّـــــتِـك المدام
وتعـــرق حين تعـــرق تحت كـــفي
فـــينتـــشـــر البنفـــسج والخـــزام
ألاحي الـنـاس فـــيـك وليس إلا
لأنهـــمـــو على حـــبـيـكَ لامـــوا



عتاب

فما زالو بنا حتى افترقنا
فيالله إنهمو لئام
ولوذاقوا الهوى والهجر فيهِ
لما عذلوا ولا قعدوا وقاموا
فليت الله يبلوهم بعشقٍ
فلا نومٌ يلذُّ ولا طعامٌ
وليت الله يسبرهم بخلٍ
بلا قلبٍ يروق له الخصام
يعذبهم ويصليهم سعيراً
بها خُلّد وليس بها حمام
فهلا عدت نحوي يا خليلي
وعاد الحب وانقشع الغمام
كفى ما كان من بعدٍ وهجرٍ
أما يكفيك في الهجران عام
فهاك قصيدة كتبت بدمعي
بعثت بها لروحك والسلام



طَيْـــفٌ

شـعـر:
حسين بن محمد
حسن صميلي•

• شاعر سعودي شاب

زارنـي طَيْـــفُكِ أَم قـــد زُرْتَنـيْ
دلـنـي أفــــديـك يـاذا دَلّـنــي
واســقني صــوتك مـــا أعــذبه !
طالما اشْــــتُــــقتُ لأن تسْكَرَنـي
كَمْ تحـــملت انتظاري راجـــيـــاً
زَوْرَةَ الـعـــيـــدِ التي منيـــتني
فَـــمَـــضَى لَيْلٌ وغَـــابَتْ أَنْجم
فَــتَـــمَلْمَلْتُ وَجَـــفّتْ أَلحُني
كُنْتُ مــحــمـومــاً مـريضــاً أشـتكي
طـول هــذا الـلـيـل إنْ لـم تـأتـنـي
فــإذا أَنْتَ كــمــا الَبــدرُ سنَا
قَـلـتُ: مَنْ ذا طـالعـــــاً نـوّر نـي
فـــأجـــابوُا طـائـرا تملكه
وَهـو أيْضَـــاً بَالهـــوى يَمْلكني
فـــتـــعــانقنا وللصّـــدر فَمٌ
يفْــضح النبضَ الذي يَفْـضَــحني
وَتَسَـــامَــرْنا فَـــمَـــا أقْـصَــره
ليلُنـا ! مـــرّ كَــــأَنْ لـم يكن
يا حــبــيــبي زُرْتني في ليلتي
أَمْ خَــيَـــال مَـــرّ بي أرقّـني
(يا حـبـيـبي أَنْتَ) إن فــرحــتني
بـلـقَــاء خَــاطـف عَـــذبْتَني
زارنـي طَيْـــفُكَ أو قَـــدْ زُرْتني
يا حَــبــيــبـاً روحُـهُ تسكنني

وجـــد

شعر:
محمد أحمد الحارثي•

• شاعر سعودي شاب

دمـــعي مُـــقــرح مـــدمـــعـي
الـــوجــــــــدُ يـلـهـبُ أَضـلـعـي
والـصّــــــبــــــر ودّع أن دُعـي
والنّـوم عَـــزَّ بمضـــجـــعـي
مِنْ ذي الجـمــال الأروعِ
فـي حـــــبِّـــــه قلبـي هـوى
فـــأذابه جَـــمـــرُ الـهــوى
ومـن الـصـــبـــابـة والجـــوى
أصـــبـــحـت مـــوهـون القـــوى
لا أســـتــفـــيق ولا أعي
احـــــــــتـلّ قـــلـبـي أولا
ثم انـثـنـي فـــتـــوغـــلا
مـــا مـــوضعٌ مني خـــلا
إلا وفـــيــــه أو غـــلا
حــتى تملك أجـمـعي
الحُــــــــسنُ مِـنْ أجـنـادهِ
والـبَـــدْرُ مـن حُـــسَّـــادهِ
والـقـلـب طـوعُ قـــيـــادهِ
بـيـنـا خـــلاءُ فـــؤادهِ
لـم أحـظَ مـنـه بمـوضـع
مـن لحْظِ هـاتـيـك الـعـــيـــونْ
فـــاضت دمـــوعي كـــالـعـــيـــون
فَـــشَـــرِقْتُ بـالدمـع الـهـــتـــونْ
وخـــضـــعـت للظبي الفـــتـــون
وأنـا الـذي لـم أخـــضـع

قـــدُّ الحـــســـامِ بقـــدهِ
والـــورد لا ح بـــخـــــــدهِ
بـين الـغـــرام وَقْـــدهٍ
وجـــفـــا الحـــبـــيب وصـــدهِ
أمـسـيتُ أرقبُ مـصـرعي
نـار تـأجّجُ فـي الحـــشـــا
من حب أغـــيـــد كـــالرَّشَـــا
وبحـــبــــه دمـــعـي وشـى
مـــاضـــرَّ يومـــاً لـو مـــشـى
نـحـــو المحب المولع
(مـــــاذاق لـذات الـوسـن)
صبٌّ أســيـــر مـــفـــتـن
وفـــــــؤاده رهـــن المحـنْ
قـــيـــد الـكـآبة والحــــزَن
مـــاذا لـه قـلبي دُعي؟
قـــد ملَّ أجـــفـــانـي البـكا
فـلـطـالمـا عـنـي حـكـى
يـا مـن أقـــام المُشـــتـكى
ارحـم وصِلْ صـــبـــا شـكـا
من حُـــرقـــة وتـوجع
قـلـبـي جـــوى يتـــمـــزَقُ
دمـــعـي هـوىً يـتـــدفـقُ
حـــتى رفـــاقي أشـــفـــقـــوا
حـــزناً عليَّ وأشـــفـــقـــوا
وبكـوا عليَّ وَلـي مـــعـي



هي هكذا الدنيا

شعر:
عبدالله علي
محمد عكور•

الود جـــرم إن حـــوته طبـــاعُ
والصـــدق في هذا الـزمـــان يبـــاعُ
من لم يكن كـــالوحش في إقـــدامـــه
نهـشت وحــوش جـســمــه وسـبــاعُ
النـاس أصناف فـــمنهم صــادق
ورع ومـــنـــهـــم زائـــف لمـــاعُ
والكل في درب الحـــيـاة مـــســافـــر
العـــمـــر وقت والردى إقـــلاع
رفـــقـــاً بنا مـــا نحن إلا مـــضـــغـــة
يـومـــــاً نرج إذن لـم الأطمــــاع؟!
أواه من دنيـــا يهـــيج عـــبـــابهـــا
فـــيـــهـــا الحـــيـــاة تقلب وصـــراعُ
وإذا النفـــوس بدا الصـــراع يســودها
بـرز اللســـــان كـــأنه مـــذياعُ
يجـــتـــاز بالموجـــات آفـــاق المدى
مـــتـــبـــاهيـــاً أو كيّ يقـــال شـــجـــاع
حـــتى إذا حطت علـيـــه ذبابه
فـــزع الجـــبـــان وكُـــسِّـــرتْ أضـــلاع
طبـع اللئـــيم له النفـــاق سـجـــيـــة
ســيـــبـــيع لحـــمـــاً إن رأته ضـــبـــاع

• شاعر سعودي شاب

يتـــتــبـع العـــثــرات فـــاح مـــســـاوئـاً
ولـــه صـــــفـــــات الطيـــــبين قناعُ
قـــد شـــوه الأخــــلاق بل لا يــر عـــوي
ســــــوء الـصـنـيـع فـــــعــــــالـه أنـواعُ
تـربـدّ دنـيـــا الحـــاقـــدين بحـــدقـــهـم
وتـدور شـــمـــمـس وجـــهـــهـــا ممـراعُ
تبــدي الجــمـــال مـــحـــاسـنـاً فـــتـــانـة
كي لا يرى خلف النقـــاب شــــعـــــاعُ
مكراً تدس الحـــقـــد في أعظامـــهـــا
فـــاحـــذر من اللمـــعـــان فـــهـــو خـــداعُ
قف واتخـــذ من خط ســيـــرك مـــأمـناً
درب الحـــيـــــاة مــــزالق وضــــيــــاعُ
فـــيـــه المبـــادئ أصـــبـــحت ممزوجـــة
بتــــــلاعـب رقَّتْ لـه الأســــــمـــــــاعُ
هـي هـكـذا الـدنيـــا مـــتــــاع زائف
يـجـــــري وراء ســـــرابـه الملتـــــاعُ
لا لانـريد حــيـــاة من جـــعـل الـهـــوى
ديـنـاً لـه إن الـهـــــــوى خـــــــداعُ
الموت أولـى من حـــيـــاة مـــذلـة
فـــيـــهـــا الـهـــوان زوارق وشـــراعُ



أحلام الشتاء

بقلم:
حسن إدريس
طاهر صميلي*

• شاعر سعودي شاب

عندما يبدأ الثلج بالسقوط في الفصل الأخير.. أجد الشتاء يتحرك على مهل نحو الضفَّة.. تحمله عكازه البطيئة.. التي كلَّت من حملهً..

وهذا الشتاء لا يسير في هذا الطريق إلا حينما يسدل الشفق أستارهُ إلى الضفَّة..

وبعد خطوات.. وصل الشتاء إليها. وقف هناك ورفع رأسه إلى السماء وقد بدت طيور مالك الحزين تهاجر من حضن ذلك الفصل إلى فصل دافئ.. أكثر حناناً..

لمحها الشتاء.. وتعلقت نفسه بأجنحتها فتمنى لو أن له مثلها كي يطير بها بعيداً عن قصَّته التي سيرويها كواقع مَرّ مصادفة على تلك الضفَّة..

بعد ذلك.. جلس الشتاء بعد أن نامت عكازه المتعبة واقفة من شدة الإعياء..

ثم لمح زهرة حمراء رائعة الجمال.. بريئة المنظر..

شاهدها وهي تتأرجح على الضفة.. تهمس له حيناً بالحب.. وحيناً آخر تنحني حياء من دفعاته المائية الهادئة ذات الصوت الموسيقى الرنان..

كأن هذه الدفعات المائية تغني أغنية حب وصفاء للزهرة..

ولشدة تعبه غفا الشتاء.. على أحزانه وآلامه...

ليروي قصة الشجن القديم.. التي أسماها " أحلام الشتاء "...

وبعد أن أوحت الزهرة إليه بالنعاس...

فتراءى للشتاء أن أمواج النهر جلبت دمية خزفية.. هي



ابنته التي رحلت منذ سنتين...
دمية رائعة الجمال... بيد أنها من الخزف.
تدحرجت الدمية مع الدفعات الهادئة حتى وصلت عند الشتاء...
فتراءت له وهي تركض إليه وتصيح به " بابا - بابا "
فارتعدت جوانح الحلم لهذا الصوت الطفولي المنغوم.
منغوم بتقاسيم الفرح... بتقاسيم الوهم...
وبين الغفوة والصحوة تراءت للشتاء أشباح سوداء مرعبة تتحرك نحو الدمية..
تحركت وتحركت حتى اقتربت منها... وتهاوت عليها لتحطم الدمية...
ومرة أخرى تهتز جوانح الحلم..
لتقول ذاكرة الحلم إن هذه الأشباح قادمة من المقابر..
وأن القانون يقول إن الأشباح جاءت لأن الدمية حضرت... فالدمية ميت... والميت لا يعود...
وبعدها تراءت للشتاء الأجساد هامدة تشير إلى الشمس... وقالت إن ابنته كانت أحب وأجمل من الشمس...
وأنها غربت مثل الشمس... ولكنها لن تعود إلا في الحلم...
استيقظ الشتاء... وهو في شدة ذعره ورعبه...
وأصغى إلى صوت الريح النائحة... تلك الكأس التي طالما أوحت إليه بالوحدة القاتمة... تلك التي طالما شربها أو سمعها في كل مكان في الدنيا...
حينها... اهتزت مشاعر الشتاء حزناً وألما..
فبكى الشتاء...

وأسقط الدمع أو الطل...

ندفات...

ندفات...

ومدَّ يده إلى ورقة كانت إلى جانبه...

وقرأ قصيدته القصيرة...

حيث قال:

" إلى الزهور... إلى الربيع... إلى صوت الرياح... إلى حفيف الشجر... إلى كل شئ جميل في الدنيا... إلى البراءة... إلى وجه الشمس...

إلى عيني القمر...

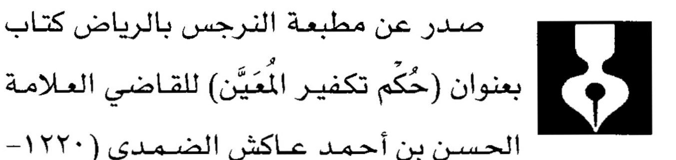
أهدي محبتي التي أرسلها مع طيور الجنة المهاجرة... "

وحانت منه التفاتة إلى زهرة الحلم...

فقطف الشتاء تلك الزهرة... ورفع يده...

وشرب نخب الربح...

وذهبت أدفن نفسي.



الحسن بن أحمد عاكش

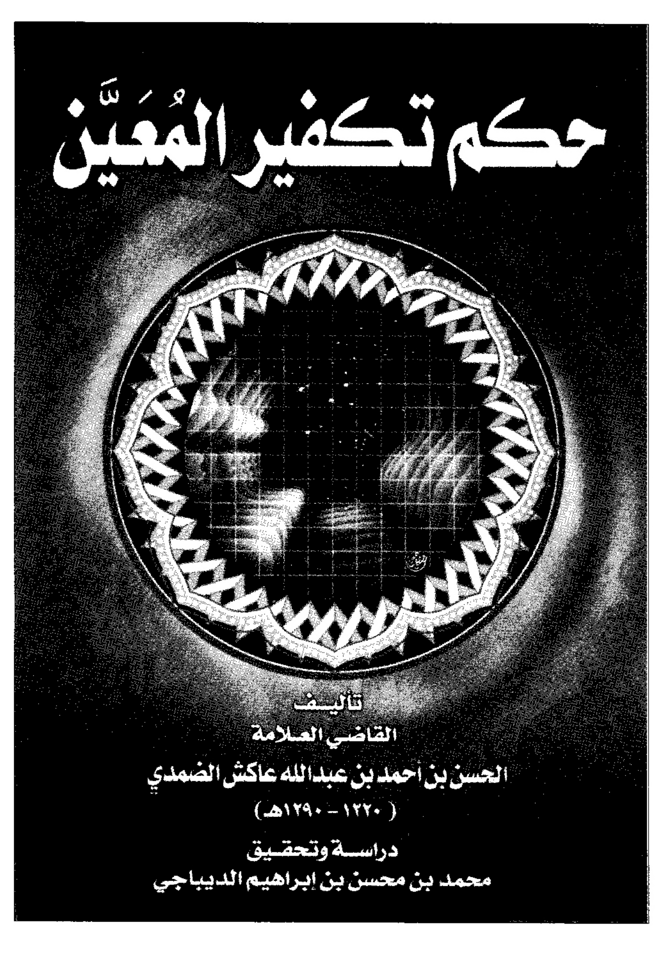
عرض:
فهمي قاضي

صدر عن مطبعة النرجس بالرياض كتاب بعنوان (حُكْم تكفير المُعَيَّن) للقاضي العلامة الحسن بن أحمد عاكش الضمدي (١٢٢٠-١٢٩٠هـ) قام بتحقيقه محمد بن محسن الديباجي. ويقع الكتاب في (١٥٣) صفحة من القطع الكبير، ويُعَد هذا الكتاب من أهم مؤلفات العلامة الحسن بن أحمد عاكش الذي اشتهر بغزارة علمه وبحور فنونه العلمية والفقهية والتاريخية والأدبية إذ كان مرجعاً للإفتاء خلال القرن الثالث عشر الهجري بالمخلاف السليماني.

وقد قام المحقق لهذا الكتاب بوضع مقدمة عرَضَ فيها آراء العلماء والفقهاء أئمة المذاهب الأربعة وجمهور العلماء في حكم تكفير المعين مع ذكر الأدلة واستنباطها من الكتاب والسنة على تحريم تكفير المعين. وقسم المحقق خطته في هذا الكتاب إلى مبحثين، المبحث الأول للتعريف بالمؤلف وذكر فيه تسعة مطالب وضع فيها دراسة شاملة عن المؤلف ونشأته ومكانته العلمية ومذهبه الفقهي والعقدي وآثاره ومصنفاته، وعرض لبعض مشائخه وتلاميذه.

ومن خلال عرض المحقق لمكانة المؤلف العلمية ذكر بأن الحسن بن أحمد عاكش نال -رحمه الله- مكانة علمية رفيعة بين العلماء والأدباء والولاة والأعيان

وغيرهم؛ وذلك لما عُرف عنه من غزارة علمه وحزم أحكامه وقضاياه وجميل أخلاقه وفضائله. وأورد بعض أقوال علماء عصره عنه كالإمام الشوكاني والميرغني ومحمد بن علي العمراني ومحمد بن علي الشرفي ومحمد بن محمد زبارة وغيرهم.



ويقول عنه السيد محمد بن عبد الرحمن الأهدل: (الفرد المبدي من بديع البيان لأرباب المعاني أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز).

ويقول عنه العلامة على بن محمد البهكلي: (إمام الفحول، وعلامة المنقول والمعقول، العالم المفرد).

ويقول عنه العلامة إبراهيم بن محمد المزجاجي: (الإمام الذي لا يلحق له مبارز بغبار، أويباريه مجار في مضمار، حامل لواء المنقول والمعقول، جهبذ الأساتذة الضابط الأمين في النقول، شرف الإسلام ومعدن العرفان).

ويقول عنه المؤرخ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع:



(عالم مبرز في الفقه والفرائض والنحو والأصول، والمعاني والبيان والتفسير وعلوم القراءات والحديث والمنطق وغير ذلك، شاعر أديب مؤرخ).

ويقول عنه الأديب المؤرخ محمد بن أحمد العقيلي: (عالم المخلاف السليماني، وأديبه في القرن الثالث عشر الهجري، حياة حافلة بالعلم والأدب عاشت للتدريس والتأليف كالسحاب الماطر يُلطف الجو، ويخصب الأرض).

وعن مباشرة عاكش للإفتاء أورد المحقق: بأنه انتهت إلى عاكش رئاسة الإفتاء في منطقة المخلاف السليماني بأسرها، فقد كانت ترد إليه الأسئلة من سائر بلاد المخلاف فيجيب عليها بكل تحرر وإنصاف. وكانت تدور المناقشات بين العلماء في العديد من المسائل العلمية، فإذا عجزوا عن الوصول إلى الرأي القاطع عولوا عليه وأرسلوا بها إليه، فلا يتردد في الفصل فيها، مصوباً الصواب، وموضحاً الخطأ.

وعرض المحقق لمنهج عاكش العقدي ما يدل على أنه من أنصار الدعوة السلفية متناولاً في مؤلفاته مباحث العقيدة والتوحيد ويقررها في تفسيره.

ولذا نجد عاكش يثني على الإمام محمد بن عبد الوهاب إمام الدعوة السلفية بقوله: " القائم بالدعوة التي رفع بها قواعد التوحيد وأشاد، وخفض بها منازل الشرك وأباد"

ونجده كذلك يثني على الدعوة السلفية ويناصرها، فيقول: "... فإن عامة ما هم عليه هو الدعوة إلى التوحيد، وترك ما عليه الآباء والجدود من التقليد، وهدم ما أمر الشرع بهدمه، ومجرد الخطأ في مسألة أو مسائل

عرض لكتاب (حكم تكفير المعَيَّن)



لا يخرج العالم عن طريق الشرع المحمدي، وكلام من تكلم إنما هو بحسب العصبية وعدم التفطن لموارد الأدلة الشرعية، فإنه بدعوتهم زالت بدع كثيرات، وارتدع الناس عن المنكرات، فجزاهم الله خيراً".

وفي المبحث الثاني من الكتاب ذكر المحقق فيه أربعة مطالب، تتضمن: اسم الرسالة، وتوثيق نسبتها للمؤلف، ووصف الرسالة، ومنهج المؤلف ومصادره فيها، وطريقة تحقيق الرسالة.

ومن خلال منهج المؤلف في رسالته، ذكر المحقق: بأن العلامة الحسن بن أحمد عاكش بدأ رسالته بذكر جملة مما عليه السلف الصالح من الإنصاف، وقبول الحق وعدم التذمر منه، وأن القول بالحق ولو على النفس شعار أهل الإيمان لا سيما العلماء الذين هم نجوم الاهتداء، ومصابيح الإقتداء.

ثم شرع عاكش في صلب رسالته بمقدمة ومقصدين:

المقدمة: وتناول فيها الأحاديث النبوية المشتملة على التنفير من شر اللسان، ومن التحذير والترهيب من اللعن والتكفير. وبيان حرمة المسلمين، وأن دماءهم وأموالهم وأعراضهم حرام.

أما المقصدان، فالمقصد الأول: تناول فيه تحرير محل النزاع في المراجعة التي حصلت بينه وبين المردود عليه.

والمقصد الثاني: تناول فيه حال أئمة العلم من السلف الصالح مع التكفير، وموقفهم مما كان عليه الولاة في عصرهم. وأنه لم يرد عن واحد منهم إطلاق لفظ التكفير على واحد معين من أهل القبلة.

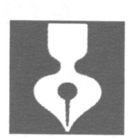
عرض لكتاب (حكم تكفير المعَيَّن)

ثم ذكر بعض الالتزامات التي تلزم المردود عليه، وتوجب عليه الانقياد للحق.

أما مصادر المؤلف في رسالته، فهو يورد في الغالب الأدلة الشرعية من السنة النبوية محالة إلى مظانها من الأمهات الست، ومسند الإمام أحمد، ومعجم الطبراني وغيرها.

كما أخذ من فتح الباري للحافظ بن حجر العسقلاني بعض مفرداته في ثنايا رسالته، وتقسيم الكفر إلى عملي واعتقادي مأخوذ من كلام الإمام ابن قيم الجوزية. وذكر ما حصل من الفتن بين الصحابة وأشار إلى الكتب التي أخذ منها في هذا الجانب وهي لعلماء أجلاء كشيخ الإسلام ابن تيمية والمسعودي، وابن عبد البر، والذهبي، وجلال الديني السيوطي، وغيرهم.وقد بين عاكش - رحمه الله - في كتابه (حكم تكفير المعين) مسألة اللعن والتكفير أكمل بيان، فهو على ما عليه أهل السنة والجماعة من جواز اللعن والتكفير على سبيل التعميم، ولا يعين إلا من قامت عليه الحجة وانتفى عنه المانع، كما ورد في كتاب الله عز وجل وسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

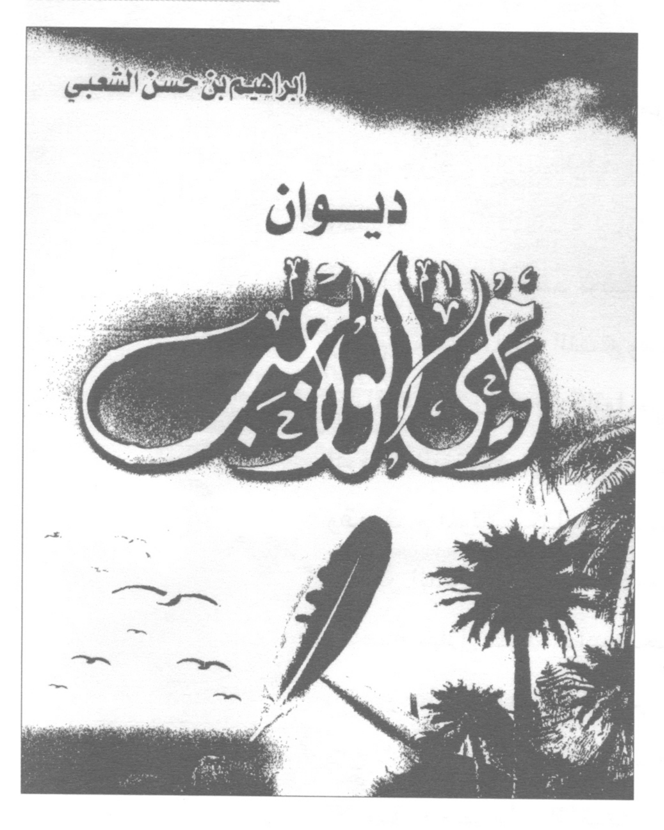
مجموعة (وحي الواجب) الشعرية



المؤلف:
إبراهيم بن حسن الشعبي

عرض:
أسرة التحرير

تحتوي المجموعة على خمس وعشرين قصيدة من النمط البيتي تقع في ٨٨ صفحة ويغلب على قصائد المجموعة التوجيه المباشر لكن قوالب اللغة رصينة وهي ميزة عرف بها الأستاذ الشعبي الذي يعد من رواد التعليم في منطقة جازان، وهو كذلك من رواد الشعر وقد تخرج على يديه عدد من شعراء المنطقة منهم الأستاذ حسن بن علي القاضي والأستاذ على بن أحمد النعمي والأستاذ محمد ابن علي البهكلي.



وتحتوي المجموعة عدداً من المراثي كما تحتوي قصائد تحمل هما وطنياً مثل قصيدة (بين أبها وجازان).

ومن أجمل قصائد المجموعة قصيدته الرائعة (نشيد الصحراء) التي نظمها خلال وجوده في أبها مديراً لثانويتها بين عامي ١٣٨٦- و ١٣٨٩هـ وهي منشورة في هذا العدد من مرافئ.

إن هذه المجموعة إضافة إلى الحركة الشعرية في المملكة العربية السعودية وقد طال انتظارها، فأهلاً بالشعر الأصيل من الشاعر الأصيل ونحن في انتظار المزيد.



الحركة الأدبية والثقافية في منطقة جازان

خلال عهد خادم الحرمين الشريفين (١٤٠٢-١٤٢٤هـ)

المؤلف:
حجاب بن يحيى الحازمي

عرض:
أسرة التحرير

يعد كتاب (الحركة الأدبية والثقافية في منطقة جازان خلال عهد خادم الحرمين الشريفين) للأديب الأستاذ حجاب بن يحيى الحازمي، واحداً من أهم الكتب التي صدرت مؤخراً على الرغم من صغر حجمه، إذ جاء في ثلاث وتسعين صفحة من القطع الصغير.

ويكتسب الكتاب أهميته من خلال ما حواه من رصد ببيليوجرافي للإصدارات الثقافية والأدبية والعلمية التي أصدرها أبناء منطقة جازان في الفترة من (١٤٠٢هـ - ١٤٢٢هـ)، وهو رصد توثيقي دقيق يحمل اسم الكتاب واسم مؤلفه وتاريخ النشر ومكانه، وهو بذلك يقدم خدمة جليلة للباحثين الذين كانوا في أمس الحاجة إلى مثل هذا الرصد التوثيقي.

وقد قدم المؤلف لكتابه بمقدمة ضافية ذكر فيها ملامح التطور الذي شهدته المملكة بعامة ومنطقة جازان بصفة خاصة خلال عهد خادم الحرمين الشريفين وتأثير هذا التطور على الجانب الثقافي على وجه الخصوص، حيث كان لازدهار العلم، وزيادة طبقة المتعلمين، وافتتاح الأندية الأدبية، وجمعيات الثقافة والفنون، والمهرجانات الأدبية والثقافية، والمسابقات الثقافية الكبرى، وما تقدمه وزارة الإعلام من دعم للكتاب والناشرين كان لكل ذلك دوره الواضح في نمو الثقافة، وازدهار حركة التأليف والنشر،



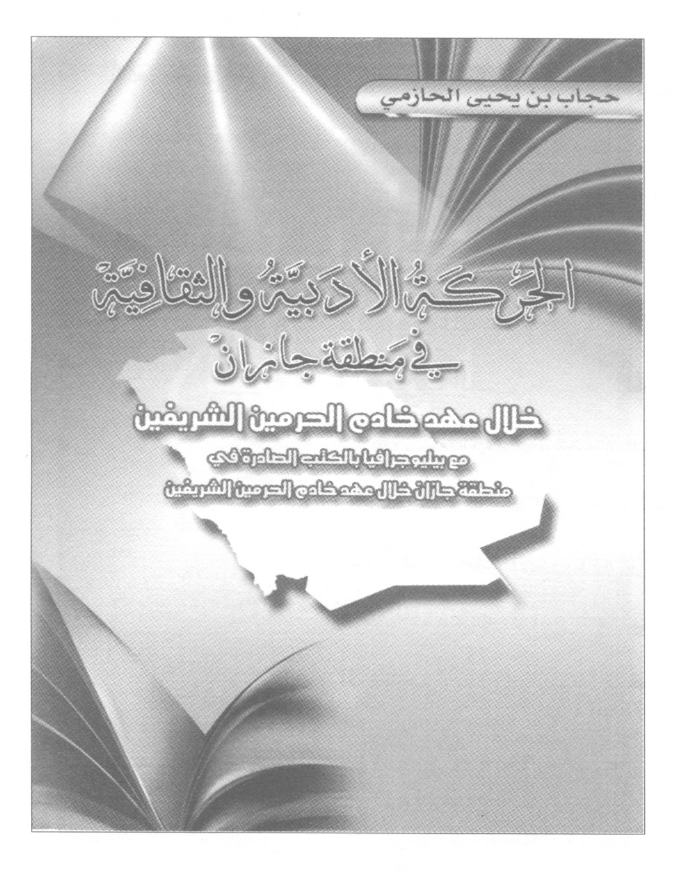
فكان لذلك انعكاسه على الإنتاج الثقافي في المملكة بعامة وفي منطقة جازان بصفة خاصة حيث وجه الباحث دراسته ورصده.

ثم ذكر المؤلف في نهاية مقدمته إلى أنه عمد إلى الرصد الببليوجرافي لمسيرة الحركة الثقافية مسجلاً ما طبع خلال هذه الفترة ليكون ذلك دليلاً حياً وملموساً على حجم الإنجاز.

وقد اختار المؤلف لهذا الرصد مسارين:

الأول: جعله حسب الأجناس الأدبية (الشعر، القصة....إلخ).

والثاني خصصه لرصد الإصدارات حسب سنوات الصدور دون تقيد بلون أو جنس أدبي بادئاً من عام ١٤٠٢هـ إلى عام ١٤٢٢هـ وخلال المسارين رتب رصده حسب الترتيب الأبجدي لأسماء المؤلفين.



ولذلك سيجد القارئ نفسه أمام مجموعة من الجداول المنظمة الراصدة لحركة التأليف والنشر خلال فترة البحث.

ففي المسار الأول: يجد القارئ الجداول التالية:

أولاً: المجموعات الشعرية التي أصدرها شعراء منطقة



الحركة الأدبية والثقافية في منطقة جازان خلال عهد خادم الحرمين الشريفين (١٤٠٢-١٤٢٤هـ)

جازان خلال عهد خادم الحرمين الشريفين (١٤٠٢-١٤٢٢هـ) وعددها سبعون مجموعة شعرية.

ثانياً: المجموعات القصصية والروايات التي أصدرها أدباء منطقة جازان خلال عهد خادم الحرمين الشريفين وعددها: تسع وثلاثون قصة ورواية.

ثالثاً: المؤلفات الأدبية والتأريخية والثقافية التي أصدرها أدباء منطقة جازان خلال عهد خادم الحرمين الشريفين وعددها مائة وثمانية وعشرون مؤلفاً.

رابعاً: الكتب التراثية المخطوطة التي حققها وأصدرها مثقفو منطقة جازان خلال عهد خادم الحرمين الشريفين وعددها ثمانية عشر كتاباً.

ثم بعد ذلك يعود الكاتب ليرتب هذه المؤلفات حسب سنوات صدورها بادئاً من عام ١٤٠٢هـ إلى عام ١٤٢٢هـ ليقدم بذلك جدولاً مكتملاً لكل تلك الإصدارات يستطيع أن يعرف القارئ من خلاله حجم ما أنتج في كل عام من هذه الأعوام، ويستطيع في النهاية أن يقف على حجم الإنتاج المطبوع خلال فترة البحث.

وبعد فإنه هذا الكتاب يعد كشّافاً حقيقياً للإنتاج الثقافي لأبناء منطقة جازان، ودليلاً مساعداً لا يستغني عنه الباحثون في أدب المنطقة وتراثها وتأريخها.

طينة نبي الله عيسى بين الإثبات البشري ونفي التأليه قبل الرفع وبعد الإهباط

المؤلف:
عبدالرحمن الرفاعي

عرض:
أسرة التحرير

قسم المؤلف كتابه هذا إلى مقدمة وتمهيد وتسعة مباحث وخاتمة.

وقد بين الباحث في المقدمة أن الحديث عن نبي الله عيسى عليه السلام أمر يكتنفه التعقيد والخطر من كل الجوانب، وذلك بسبب ما أحدثه أتباعه من إضافات واعتقادات زائفة أضافوها إلى هذا النبي وهي لا تليق به كنبي ورسول وهي ناشئة عن تصورات خاطئة لعقليات قاصرة وصلت بهم إلى جعله إلهاً أو ابناً للأب الإله، أو هو روح الله، وهو ما يتناقض مع أهم وأوثق مصدرين يمكن الاطمئنان إليهما فيما يخص حياة هذا النبي وهما القرآن الكريم وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

طينة نبي الله عيسى بين الإثبات البشري ونفي التأليه قبل الرفع وبعد الإهباط

كما أكد المؤلف في المقدمة إن هذا المؤلف يدور حول إثبات بشرية نبي الله عيسى، لذا سوف يتم التركيز على الخامة الطينية التي خلق منها، انطلاقاً مما ورد عن طبيعة الطينة التي خلق منها جسد كل مخلوق بشري.

وقد تناول المؤلف في المبحث الأول أسرار طينة النشأتين كما تجليها الطينة العيسوية، من فروق طبيعة النشأتين والطينة العيسوية، وتعدد النفخ وما أدى إليه في الخلق العيسوي، ودلالة اختلاف مرجع الضمير في آيتي الخلق العيسوي، وخصائص الجزء الآتي إليه من أمه، وقضية غذائه في مدة حمله وبعده، مع الوجه الأول والثاني، وقضية خروجها للغسل من الحيض والرد عليها.

وتناول في المبحث الثاني: الموت والتمرحل والسرعة في الخلق وما تعنيه نفياً وإيجاباً ويشمل انتفاء صفتي الموت والتمرحل الخلقي لحصول السرعة في الخلق العيسوي والنشأة الثانية، وزواجه وإنجابه ووفاته ومتى ذلك، والبدن العيسوي، وخلوه من صفات النشأة الدنيوية.

أما المبحث الثالث: فقد تناول المؤلف الفورية القاسم المشترك بين حمل عيسى وقيام النشأة الثانية، وقد شمل هذا البحث: الفورية والتمرحل في الخلق، وخصائص النشأتين لذلك، واللونية والتركيب العنصري لازمة في الخلق، والستر والغطاء من خصائص الطبيعة الدنيوية، وما تعنيه كلمة البرزخ.

والمبحث الرابع: اللونية خاصية ارتكازية في الخلق، وشمل هذا المبحث: المزجة اللونية في الخلق بين القرآن والعلم، والتلخيص اللوني وتأهيله في الحياة البرزخية، ونقل عرش بلقيس وما يعنيه في عالم التحولات، واللونية وتأكيدات فرادية العنصر في الخلق الثاني.



المبحث الخامس: الخلق المائي طبيعة في النشأتين ويشمل: المائية والنشأة الدنيوية، مع شاهد عملي في الواقع الدنيوي، والمادة والنقل اللاسلكي والآلة الناسخة وقضية الاستنساخ، والنشأة الثانية والماء المهين.

المبحث السادس: النشأة الثانية بين البويضة وعجب الذنب وشمل هذا المبحث: عجب الذنب هو بويضة النشأة الثانية، والازدواجية طبيعة في الخلق الكوني والمضغة المخلقة، واختفاء الوجه العامل وكيفية تشغيله والازدواجية وآيات القرآن الكريم وبهبوط النبي عيسى يكون جلاء الجزء الثاني من الآية فيه.

المبحث السابع: من شواهد التحولات وبراهينها، شمل تحولات الإهباط والعودة كما يجليها الإسراء والمعراج، وقانون الجزء الأول من الرحلة وما الذي يجسده، وحكم لجم البراق لمحمد صلى الله عليه وسلم وربطه بالصخرة، وصلاته عليه الصلاة والسلام قبل المعراج.

كما تناول المؤلف في المبحث الثامن الشعراوي والتحويلات كما يراها من خلال آيتي الإسراء والمعراج وشمل الرؤيا والإراءة، والإسراء والمعراج، والمراحل الثلاث كما يراها الشعراوي، ورحلة عودته صلى الله عليه وسلم.

المبحث التاسع والأخير: من شواهد نداء التشغيل والإيقاف للإحياء والإماتة وشمل آيتي الشاهد الأول والثاني، وشفرة النداء ومركز استقبالها، والخلية بين التسمية القرآنية والعلم الحديث، والإشارة الثانية والبرمجة الندائية والتمرين على الإجابة بين المنادي والأجزاء بعد نقل مفاتيحها إليه، وعجب الذنب ومركز استقبال النداء.

الخاتمة: وقد لخص فيها الباحث ما تناوله في المباحث السابقة وأهم ما توصل إليه في مؤلفه هذا.



عرض كتاب إشارات

المؤلف:
عمر طاهر زيلع*

عرض:
أسرة التحرير



كتاب إشارات الصادر حديثاً عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق للأديب القاص والروائي الأستاذ عمر طاهر زيلع.

يتكون الكتاب من عدة مقالات نشرها الأستاذ عمر طاهر زيلع في الصحف.

وقد حوى الكتاب ثلاثاً وخمسين مقالة في خمس ومائتي صفحة من القطع الصغير.

إن الحكم على الكتاب بكونه مجموعة من المقالات فيه تقليل من القيمة الفكرية التي يخرج بها القارئ في مجمل الكتاب.

ذلك أن كل مقالة في حد ذاتها تمثل مطارحة فكرية ضاربة بعمقها غنية بأبعادها التأملية، ناهيك عن الثروة المعرفية وتراكم الخبرات الحياتية والقرائية والكتابية التي بثها المؤلف في هذا الكتاب.

ويبدو الهاجس الثقافي الأدبي المسيطر على عدد ليس بالقليل من المقالات ولا سيما ما له علاقة بالفن والأدب.

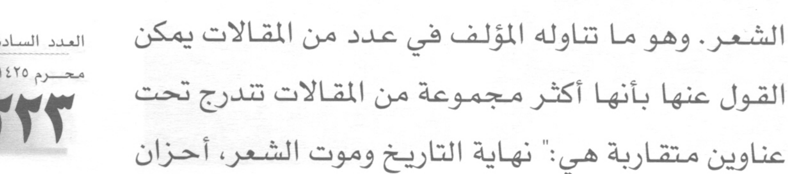
أما البعد الرؤيوي العميق الذي ينتظم المقالات، فهو ذلك القلق من المستقبل القادم في ظل إرهاصات التحولات الكبرى التي يشهدها عالم اليوم، بخاصة ما يهدد الفنون والآداب، وما إذا كانت الثقافة الأدبية والإبداع على وجه التحديد ستظل محافظة على أهميتها ذاتها وكينونتها في ضوء المتغيرات المتسارعة. وزيادة الانفصال والقطيعة بين الماضي والمستقبل.

إن مكمن الصعوبة في وصف كتاب يحوي مثل هذه المطارحات هو الحكم الحاسم بحقيقة ما. وهو ما حاول المؤلف تجنب الوقوع المباشر فيه. عن طريق نثر أسئلة أخرى، على أن هذا هو تصور مبدئي بعد قراءة أولى في الكتاب.

إذا كان الأستاذ/ عمر زيلع قد قال:" بالنسبة لي فإنني لم أدرك العالم بصورة كافية للحديث عنه لذلك فقد صار الأدب عندي مفهوماً غامضاً مثير للحزن الذي لا يمكن قياسه" فالقارئ أيضاً سينعكس عليه ذلك العجز عن الإحاطة بكل العوامل والأفكار التي يجيء بها المؤلف لكونها نتاج أطروحات غنية بتشعباتها.



على أن ورود " الأدب" في تلك الجملة الاعترافية في مقاله " رثاء الشعر" تعطي انطباعاً بما قدمته عن شعور الكاتب وهاجسه الأساسي إزاء أزمة الإبداع والثقافة وعلى رأسها الشعر. وهو ما تناوله المؤلف في عدد من المقالات يمكن القول عنها بأنها أكثر مجموعة من المقالات تندرج تحت عناوين متقاربة هي:" نهاية التاريخ وموت الشعر، أحزان





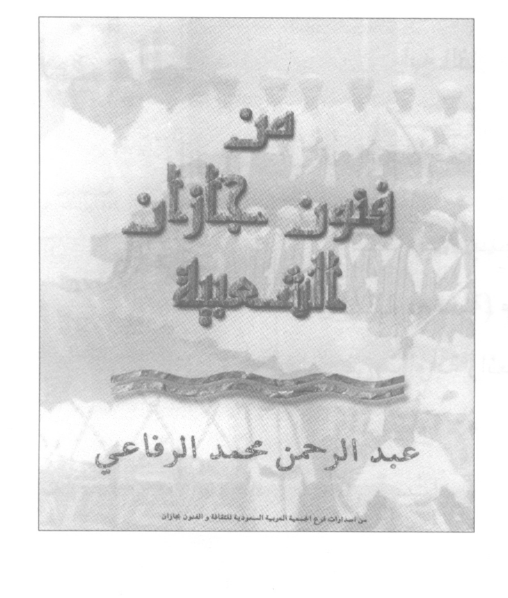
الأديب، الشعر تاريخاً للصمت، أيها المثقفون، في رثاء الشعر، عصر الأدب، أزمة الإبداع لماذا البؤس الأنين".

اشتمل الكتاب إلى جانب الهاجس الفكري الهام السابق على مقالات أخرى بعضها على علاقة بالشعر كمقالين عن السنوسي، وثالث عن محمد العقيلي الأديب والمؤرخ الكبير. ومقالات أخرى تندرج ضمن المشاركة الاجتماعية التي توحي باندماج الكاتب في مجتمعه وإفادته من كافة شرائحه وأنه لا يستمد المعرفة الحياتية من الكتب وحدها، رغم ما بدا لها من ثقل كبير في وجدان المؤلف وهذه المقالات تقدم الخبرة الحياتية العملية بنضج وممازجة بين الثقافة المكتسبة قرائياً ومعايشة حياتية.

متابعـــات

جمعية الثقافة والفنون بجازان تصدر ثلاثة كتب:

صدر عن فرع جمعية الثقافة والفنون بجازان ثلاثة كتب دفعة واحدة، وزعتها الجمعية في مـهرجـان الجنادرية وهي مـعنيـة بتـراث منطقة جازان.

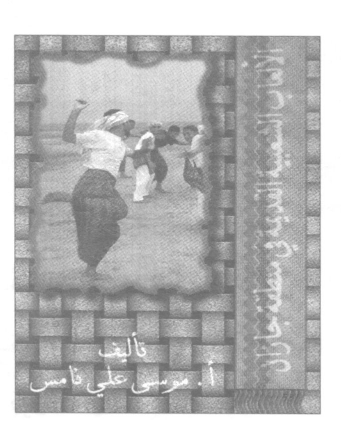


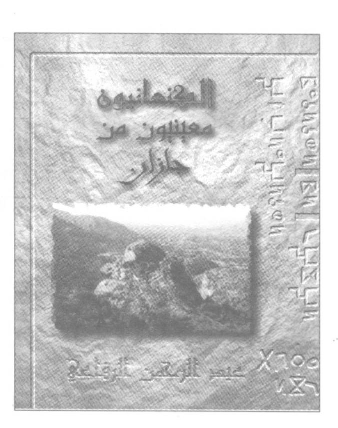
حمل الكتاب الأول عنوان:

الألعاب الشعبية القديمـة في منطقة جـازان للكاتب: مـوسى علي نامس، وكـان مدعوماً بالصور والرسومات الإيضاحية.

أما الكتـابان الآخـران فهمـا من تأليف الأديب الكبيـر الأستاذ عبـدالرحـمن بن محمد الرفاعي، حمل أولهما عنوان:

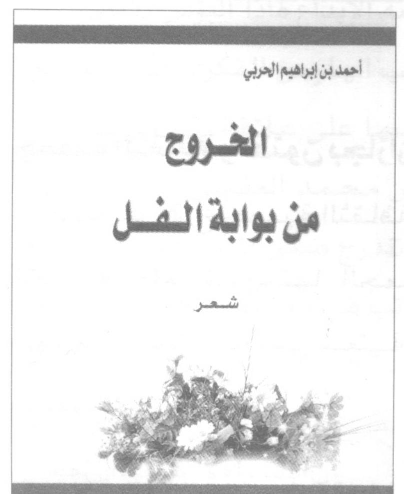
من فنون جـازان الشـعـبـيـة، وحـمل الآخـر عنوان: الكنعانيون معينيون من جازان.





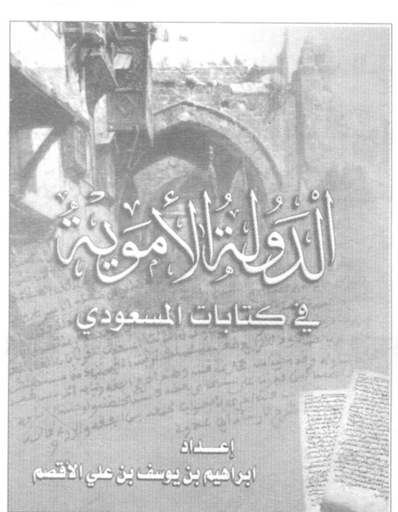


الخروج من بوابة الفل:



صدر عن نادي جازان الأدبي ديوان جديد للشاعر الأستاذ: أحمد بن إبراهيم الحربي، بعنوان "الخروج من بوابة الفل"، الجدير بالذكر أن هذا هو الديوان السابع للشاعر وقد جاء الديوان في (١٣٧ صفحة) من القطع الصغير، مشتملاً على (١٨ قصيدة) في مزاوجة رائعة بين الشعر العمودي والتفعيلي.

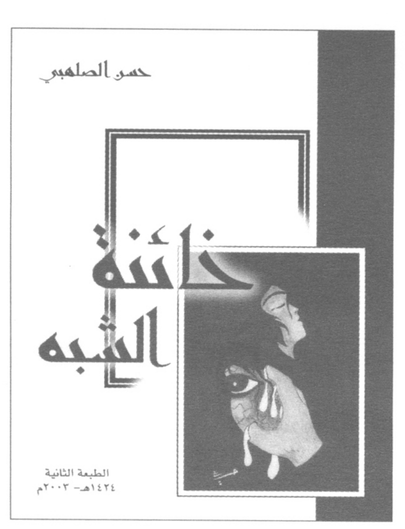
الدولة الأموية في كتابات المسعودي



أصدر الباحث إبراهيم بن علي الأقصم رسالته العلمية - التي حصل بموجبها على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي بتقدير ممتاز من جامعة الملك عبد العزيزبجدة - في كتاب حمل عنوان: الدولة الأموية في كتابات المسعودي، جاء الكتاب في (٣٦٩ صفحة) من القطع الكبير، وحمل بين دفتيه ستة فصول بالإضافة إلى التمهيد والخاتمة.



خائنة الشبه:

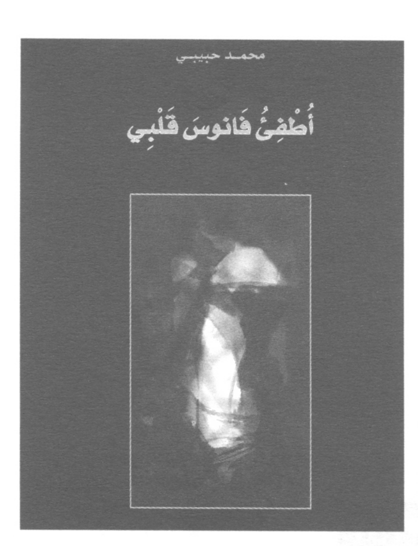


عن نادي أبها صدرت الطبعة الثانية من ديوان ((خائنة الشبه) للشاعر حسن الصلهبي، يحتوى الديوان عشرين قصيدة تندرج تحت عنوانين داخليين رئيسين هما: خائة الشبه، وطن للعابرين.

يقع الديوان في (٧٦) صفحة من القطع الصغير، وبعد إضافة نوعية إلى تجربة الشاعر، وإلى التجربة الشعرية في المملكة العربية السعودية.

الجدير بالذكر أن هذا الديوان حاز الجائزة الأولى في مسابقة أبها الثقافية للعام ١٤٢٤هـ من بين (٦٥) عملاً شعرياً شاركت في المسابقة.

أطفئُ فانوس قلبي:



صدر عن نادي جازان الأدبي مؤخراً ديوان (اطفئ فانوس قلبي) للشاعر محمد حمود حبيبي.

يحتوى الديوان خمسة عناوين داخلية هي: محض كلام، نصوص البيت، صلصال يدمع، منمغات الغبار، هدوء أخير.

وتحت كل عنوان مجموعة من النصوص الشعرية القصيرة منتمية إلى العنوان الذي تندرج تحته.

الجدير بالذكر أن هذا هو الديوان الثاني للشاعر محمد حبيبي بعد ديوانه الأول: انكسرت وحيداً، ويقع الديوان في (٧٦) صفحة من القطع الصغير.

